


رسالة الخط

Al khat (L'ècriture)

لموءلفها

الشيخ احمد رضا

نشرت تباعاً في مجلة العرفان



سنة ١٣٣٢

Imprimérie— al irfan Saïda (Syrie) 1914



رسالة الخط

Al khat (L'ècriture)

لمؤلفها

الشيخ احمد رضا

نشرت تباعاً في مجلة العرفان

مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣٢

Imprimerie— al irfan Saïda (Syrie) 1914





رسالة الخط

Al khat (L'ècriture)

لموءلفها

الشيخ احمد رضا

نشرت تباعاً في مجلة العرفان

مطبعة العرفان . صيدا سنة ١٣٣٢

Imprimérie— al irfan Saïda (Syrie) 1914

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين

الخط

اللغة فيه

الخط لغة هو الكتب بالقلم قاله صاحب القاموس وخط الرجل الكتاب من باب قتل كتبه قاله صاحب مجمع البحرين وهو مأخوذ من الخطة بالكسر يختطها الرجل لنفسه . وهو ان يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه اختارها ليبنيها قاله في مجمع البحرين مثل الكتابة وهي كما في القاموس كتبه كتباً وكتابة خطه ككتبه واكتتبه او كتبه خطه وهي مأخوذة من الكتب وهو الجمع يقال كتب القوم اذا اجتمعوا قال الشاعر

انبئت ان بني جديلة اوعبوا   شعراء من سلمى لناوتكتبوا

يريد تجمعوا وانما سمي الكاتب كاتبا لأنه يضم بعض الحروف الى بعض من قولهم كتب القربة اذا خرزها الى خرز قاله ابن بشار الانباري في شرح المعلقات ومنه قوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان اي جمعه نص عليه صاحب مجمع البحرين

فضله

قالوا الكلام ريح قيده الكتابة وقد منّ الله تعالى على الناس بنعمة الخط حيث قال علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم واقسم بقوله تعالى والقلم وما يسطرون وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى أواثارة من علم انه الخط وقال عبيد الله بن عباس الخط لسان اليد وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به تفصل شذورها وينتظم منثورها وقال النظام الخط اصل الروح له جسدانية في سائر الاعمال وقال ابراهيم بن محمد الشيباني الخط لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحي الفكر وسلاح المعرفة وانس الاخوان عند الفرقة ومحادثتهم على بعد المسافة ومستودع السر وديوان الامور وقال مسلم بن الوليد من عجائب الله تعالى في خلقه وإنعامه عليهم من فضله

تعليمه اياهم الكتابة المفيدة للباقين حكم الماضين والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات متفرقة في معان معقولة بحروف موءلفة من الف وباء وجيم ودال متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكير ونتاجها التـأليف تخرس منفردة وتنطق مزدوجة بلا اصوات مسموعة ولا السن مردودة ولا حركات ظاهرة ماخلاقلما جوّف باريه بطنه ليعلق المداد به وارهف جانبيه ليرد ما انتشر منه اليه وشق رأسه ليحتبس الاستمداد عليه واربع من شفتيه ليجمعا حواشي تصويره اليه فهنالك اشتدالقلم برشفه وقذف المادة الى صدره ثم مجها من شقه بمقدار ما احتملت شفتاه بتخطيط اجزاء النقط التي ادار بها الخطوط والابصار لها سامية فاذا حكتها الالسن فالآذان لهـا واعية واواني اسمائها بها حينئذ الكلام الذي سدّاه العقل والحمه اللسان وقطعته الاسنان ولفظته الشفتان وصداه الجو وجرعته الاسماع على انحاء شتى وسميت لها الاشياء لتعريف متناكرها وتمييز متشابهها وتبيين معلومها من مجهولها

تعريفه

قال في ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد من المتقدمين الخط علم تعرف منه صور الحروف المفردة واوضاعها وكيفية تركيبها خطا وما يكتب منها في السطور وكيف سبيله ان يكتب وما لا يكتب وابدال ما يبدل منها في الهجاء وبما ذا يبدل وقال صاحب رسالة الخط من المتأخرين (الكتابة هي رسوم واشكال تدل على ما في النفس) وهو تعريف مختصر شامل لكلما يرسم ويراد منه الدلالة على معنى سواء في ذلك الأرقام العددية والحروف الهجائية والكتابة المختزلة بل هو شامل ايضا للخط الرمزي فهو اجمع من التعريف الاول

نشأته

الانسان فخور من طبعه معجب بعمله مفتون بحب الشهرة فكان يحدث بآثاره سماره ويفاخر باعماله اقرانه فلما بلغ المنتهى من هذه الغاية اراد نشر مفاخره على ابناء القرون التالية حتى اذا خرست عنها السن المحدثين واخبار القصاصين نطق بها لسان التاريخ واظهرتها رواميز النقوش او انه رأى حادثا جللا عظم وقعه من حوادث الزمن او من افاعيل ابنائه فاراد ان يبلغ من بلده خبره ليكون لهم منه ذكرى وعبرة فعمد الى الحفر على الآجر او الاحجار بما يدل به على ما في نفسه ولاشك ان اول ما اخترعته مخيلته ان يرسم الخبر على صورته المحسوسة لأن المحسوسات لها اولية التأثير في الذهن

فرسموا الحوادث والوقائع بصورها فاذا ارادوا مثلا ان يخبروا ان ملكا قتل اسدا صوروا رجلا على رأسه تاج وبيده سيف وامامه صورة اسدوالسيف مغمد في جسمه واذا كتبوا عن رجل شرب ماء صوّروه وصوّروا القدح في يده وقد ادناه من فمه

قلنا ان الانسان اول ما كتبه هو تصوير الوقائع فهل كان مصوّرا منذ نشأته ؟ لم يكن علم الرسم متقنا عندهم ولكنه يدلهم على مايريدون ولو كان خطوطا يعترض بعضها بعضا فتظهر بشبه بعيد الصورة التي يريدونها حتى كثر مراسهم لهذا الامر فارتقى التصوير عندهم ولكن الخط ايضا ارتقى فاستبدلوا في بعض الحالات الدلالة على المسمى بالصورة بالدلالة بها على اول مقطع من اسمها وقد يكون اكثر من حرف وحركة فأصبحت صورة الاسدبعد ان كانت رمزا على هذا الحيوان الجريء تدل على اول مقطع من اسمه وهو الهمزة المفتوحة مثلاوهكذا ارتقت الكتابة من العلامات الرمزية الدالة على المعاني المستقلة الى الدلالة على مقاطع الكلمات وحروفها فقلّت حروف الكتابة بعد ان كانت لا تدخل تحت احصاء فالخط المسماري مثلا لما استعمله الاكاديون بلغتهم التي هي من اللغات الطورانية (اخت التركية القديمة) كان في اول اطواره فكان صور بالخط ولما خلفهم الاشوريون في بلاد مادي وفارس واخذوا خطهم استعملوه في لغتهم الاشورية السامية (اخت العربية) فكان الخبر عن رجل يشرب ماء في خطهم قائما بكتابة شكل مجوف مستطيل يريدون به الفم وفي وسطه خط عمودي صغير باسفله كرة صغيرة يمثلون به نقطة الماء ساقطة من السحاب ويرمزون به على الماء وكلتا العلامتين على هذا التصوير تدل على شرب الماء

والشهر في خطهم عبارة عن دائرة يريدون بها الشمس في جوفها ثلاث من علامة العشرة وهي شكل زاوية منفرجة يريدون بها الثلاثين يوما

وقد ظهر من بحث علماء الآثار أن كثيرا من الخط المسماري يدل على حروف مقطعية وهي ما تدل على حرف وحركة او حرفين وحركتين وكذلك الحال في الخط الهيروغليفي بعضه صوري وبعضه مقطعي لفظي فيه ما هو علامة لحرف وحركة او لحرفين او لثلاثة احرف فهو من هذه الجهة شبيه بالخط الصيني

ان الكتابة الصورية عرف منها الى الآن فروع بعضها قرأه الباحثون بحيث اصبح معروف الدلالة بينهم كالهيروغليفي المصري والمسماري والصيني وبعضها لم يهتد احد حتى اليوم الى حل رموزه كلها كالحثي والمكسيكي القديم والكانوتي لقدماء الاميركان

والهيروغليف المصري قسم الى ثلاثه فروع اقدمها ما يكتب على الآثار ذات الشان عندهم مما يراد تأبيده ويسمى الهيروغليفي وهو صوري محض وثانيها ما كان يكتب في الصكوك المدنية والحاجات العامة وهو اخصر من الاول ويسمى الهيراتي اي المقدس لانه يكاد يختص بالكهنة وعلاماته صور مجازية او لفظية ويراد بالمجازية ان لا يكون لصورها مادة محسوسة كالشرحيث دلوا عليه بصورة رجل يقتل نفسه لأن قتل المرء نفسه اعظم الشرور واقبح الخلال والمراد بالصور اللفظية تصوير الفاظ الاسماء فهم يكتبون الرجل مثلا بصورة تدل على لفظ اسمه بدلا من صورته نفسه كدلالة الارقام الهندية على معدودها يفهمها العالم بوضعها باي لغة كانت ولم يعلم معنى لفظها

والثالث من فروع الخط المصري العامي او الداموتيكي وهو موجز من الهيراتي واقرب الى السهولة منه بل هو آخر حلقة تصله بالخط الهجائي وقد استعملته العامة وهو المرسوم في صحف البابيروس في الآثار المصرية واما الخط المسماري ويعرف بالسفيني لشبهه بالسفين من آلات البناء فقد كان كالمصري القديم صوراً محسوسة للدلالة على معاني تلك الصور لما استعمله الكاديون ثم صار بعضه صورا للالفاظ كما تقدمت الاشارة اليه حتى اذا اتصل بالفرس وسمي بالفارسي ارتقى بارتقائهم وصار مقطعيا ثم ارتقى الى الهجائي كما تحوّل المصري عند الفينيقيين الى الهجائي ايضا

خطا الخط خطوة عظيمة في سبيل الاصلاح منذ تبدل من الصوري الى اللفظي فقلّت علاماته ورموزه ولكنه لم يصل الى الدرجة المطلوبة من حيث تسهيل تعلمه وتعميم فائدته وبقي بعيدا عن الاتقان لكثرة العلامات اللفظية الباقية فيه وتعدد اشكالها بحيث يستغرق تعلمها وقتا طويلا كما تجده في اللغة الصينية اليوم فانبرت الهمة في ايجاز هذا الطريق واختصاره ووجدوا بالاختبار واعمال الفكرة امكان تقطيع الالفاظ والكلمات الى مقاطع صوتية تنحصر في عدد يمكن ضبطه فقطعوها وجعلوا لكل مقطع صورة من تلك الصور بحيث كان المقطع الدالة عليه اول مقاطع اسمها كما يراه الناظر في لغة الاحباش اليوم فنزل عدد العلامات من الالوف الى المئات فكان هذا التحويل خطوة اعظم في تسهيل الخط

ثم فتح الله على المفكرين فحولوا المقاطع الى حروف هجائية لم يتجاوز عددها الثلاثين ولم ينقص عن العشرين كما هو الحال في اكثر اللغات المعروفة اليوم التي تكتب بالحروف الهجائية فكتب العرب بثمانية وعشرين حرفا والفينيقيون باثنين وعشرين حرفا

اول من عرف حروف الهجاء

اختلف الباحثون في اول من رقي بالكتابة من شكلها الصوري الى الهجائي فقال قوم انهم السريان وقال غيرهم انهم المصريون وخص جماعة ذلك باهل الهند واغرب من نسبه الى العرب ولكن جمهور الباحثين قديما وحديثا اثبتوا ان اول من اخترع احرف الهجاء هم الفينيقيون الذي زهرت بهم هذه البلاد وملكت بعلومهم ازمة البحر والتجر بشهادة المؤرخ الفينيقي سانخيناثون البيروتي وبلنيوس الروماني الذي نسب القول في ذلك الى الشيوع في زمانه وقد ذهب بعض الباحثين اليوم الى احتمال نسبة ذلك الى ابناء قبرص حيث اكتشف(١) بعض علماء الآثار الكتابة القبرصية فذهب فريق الى انها هجائية ولكن الماجور كندور ذهب الى انها غير هجائية بل هي علامات ثلاثة وخمسين صوتا وانها وضعت في الاصل لكتابة لغة غير اللغة الآرية ورجح انها مغولية واصل وضعها لم يكن في قبرص بدليل استعمال الكاريين لها شمالي جزيرة قبرص والظاهر انها تتضمن الصور الاولى التي هي اصل الحروف الهجائية عند الفينيقيين واليونان واهل ليسيه وهذا رأي جماعة من العلماء وتابعوهم يزدادون يوما فيوما ومعلوم ان الحروف الهجائية الفينيقية اصل الهجاء عند الامم وقد حلّت محل القلم المسماري والقلم الهيروغليفي المصري فاذا ثبت ان الفينيقيين نقلوا حروفهم عن القلم القبرصي كان هذا القلم اصل الابجديات والله اعلم

والقول المشهور ان ابناء فينيقية سلكوا سبيل المصريين كما تقدم فاخذوا عنهم احدى وعشرين حرفا كانت معروفة عندهم وغيّروا وبدلوا فيها وجعلوها حروف علة وحروفاً صحيحة ثم انفردوا بحرف واحد تتمة الاثنين وعشرين حرفا حروف اللغة الفينيقية وهذا الحرف وهو العين غير موجود في لغة المصريين فوضعوا له علامة مخصوصة وهي دائرة صغيرة تشبه وضع الصفر عند الافرنج

ثم تبع الفينيقيين في حروفهم كل الامم التي عرفتهم وغيروا وبدلوا بما تقتضيه لغاتهم واشهر من تابعهم فيها اليونان كما شهد بهم اقدم مؤرخيهم هيرودوت ابو التاريخ قال في الكتاب الخامس من تاريخه والفينيقيون الذين جاءوا مع قدمس(٢) ادخلوا الى بلاد اليونان عند وصولهم فنونا شتى ومن جملتها فن الكتابة الذي كان اليونانيون يجهلونه حتى ذلك الزمان ولكن كلام هيرودوت لايدل على ان الفينيقيين اول من استنبط حروف الهجاء

---

(١) المقتطف م ١٨ ص ٦٩٩ (٢) هو قدمس الصوري كما ورد اسمه مكررا في تاريخ هيرودوت

ونحن في غنى عن هذه الدلالة بالادلة الكثيرة الشائعة حتى اصبح استنباط احرف الهجاء من مفاخر هذه الامة كعمل الزجاج وقد عملوا بهذا الاستنباط في اول عصر تمدنهم ونشأوا على استعماله بحيث جهلوا من منهم اول من قام به بل اعرقوا فنسبوه الى احد آلهتهم الذي جعلوه إله الخط واسمه تاوت [1] وهو من آلهة المصريين القدماء وكأنها سبقت معرفتهم للخط على زمن التاريخ عندهم فكان مجالا للروايات الخرافية

قلنا انهم جهلوا اول من قام منهم بمعرفة الخط ولكن الاقرب الى ذهن الباحث أن ذلك لم ينفرد به شخص بل هو عمل نشأ من اختلاط الفينيقيين بالمصريين الذي كان الخط الهيراتي شائعا عند خدمة الدين منهم وبه تكتب الصكاك المدنية والحاجات العامة وكان الخط الداموتي معروفا عند عامتهم وهو ابسط الخطوط المصرية وهذان الخطان اقرب الى الحروف الهجائية منهما الى الكتابة الصورية وبعبارة اخرى هما اقرب الى الخط الفينيقي منهما الى الخط الهيروغليفي القديم وعنهما اتخذ الخط الفينيقي شكله وقد صرح العالم شمبوليون بان الحروف الفينيقية اشتقت من الحروف المصرية وقال العالم روجه ان العلاقات السياسية والتجارية بين المصريين والفينيقيين كانت كثيرة فلا يجد الكاتب بدًّا من ان يرسم بعض كلمات لغته الفينيقية بالخط المصري فيضطر الى التغيير والتبديل لاختلاف مقاطع اللغتين وبالحقيقة كانت الحروف الفينيقية تتفق مع العلامات المصرية في الهيراتي والداموتي في خمسة عشر حرفا وتختلف عنها اختلافا غير بعيد في السبعة الاحرف الباقية وفي كلام العالم روجه ما يدل ان التغيير المذكور انما نشأ لمكان الحاجة والاضطرار وذلك يحصل اما بتنصيص الواضع بأن يضع العلامة ويقول هي لهذا المقطع الصوتي ويحمل الناس على العمل بما وضع واما بتوفر الهمم على هذا الاستعمال وشيوعه دون تنصيص واضع مخصوص وانما يشيع لمكان الحاجة اليه فيصبح اصطلاحا وذلك نظير وضع اللفظ لمعنى مخصوص في اللغة فانما يدل عليه بوضعه اللغوي بتنصيص الواضع او بوضعه العرفي بشيوع استعماله وصيرورته حقيقة عرفية وحيث ان الوجه الاول اي الوضع المخصوص من واضع مخصوص لم يقم عليه برهان ولم ينص عليه احد فانا نميل الى الوجه الثاني حتى يظهر ما يثبت الاول لأن الثاني اقرب الى الطبع واكثر في العادة

ثم طرأ على الكتابة الفينيقية ادوار دخل التغيير والتبديل في هيآتها وكانت في آخر ايامهم اكثر بساطة وسهولة من اولها

---

(١) تاريخ سوريا لبني

ثم اخذ اخذهم بها اكثر الامم المعاصرة لهم حيث نقل الفينيقيون حروفهم معما نقلوه من تمدنهم وصنائعهم الى الاقطار فاليونان عنهم اخذوا وبهم اقتدوا كما تقدم الكلام عليه بل أن المصريين معلميهم عادوا فاقتبسوا احرفهم من تلامذتهم ابناء فينيقيه وكان للعرب من هذا الاخذ والاحتذاء النصيب الوافر والعرب يومئذ في عصر تمدن ومعرفة ايام كانت ارض اليمن تزهر بهم والناظر في الخط الحميري يجده قريب الشبه بالخط الفينيقي وان حسن هندام ذاك ولكن الشكل يكاد يكون غير متبدل فرسم الباء يشبه بعضه ولكن رسم الجيم هو واحد في الخطين والطاء كذلك ومثله النون والعين والصاد والقاف الى غير ذلك من المتماثلات والمتشابهات

ولا يبعد أن يكون الكلدان قد سلكوا سبيل ابناء فينيقيه في الكتابة فوضعوا حروفهم وفيها اليوم بعد عن الشكل الفينيقي ولعل ذلك البعد من كثرة الاستعمال والتغيير ولم يقم الدليل القاطع او الواضح لدى علماء الآثار على اصالة الخط الكلداني بل ربما كان اكثر الباحثين يميلون الى فرعيته

بعد أن شاعت الكتابة الهجائيه واخذ بها اكثر اصحاب اللغات تفنن كل قوم فيما يكتبون فكانت صور الحروف مختلفة الاشكال بين لغة ولغة حتى لقد وقع الاختلاف بين الاصل والفرع كما هو الحال في الخط الهيراتي المصري والخط الفينيقي مع ان الاول اصل الثاني كما تقدمت الاشارة اليه فكان من ذلك الخط الفينيقي والمسماري والهيراتي المصري والسنسكريتي الهندي والصيني والحبشي وبعض هذه الخطوط مقطعي لا هجائي وكان من ذلك ايضا الخط العربي بقسميه الحميري والكوفي والعبراني القديم وهو السامري والعبراني الحديث والسرياني الشرقي والكلداني واليوناني واللاتيني

اختلفت لغات الناس وهي ترجع الى ثلاثة اصول السامي والآري والطوراني فمن اللغات السامية العربية واخواتها العبرانيه والسريانيه والكلدانيه من اللغات المعروفة والفينيقية والاشورية والارامية والنبطية والحميرية من اللغات المندرسة

ومن اللغات الآرية الهندية والفارسية واليونانية والفرنسية واكثر لغات اوروبا

ومن الطورانية بل هي اشهر فروعه التركية التي بدلت الفاظها وامحت رسومها القديمة الا شكلها في السبك والجمل حيث بقي هذا الشكل حاملا هذا الاسم

اختلفت هذه اللغات فاختلفت رسومها الخطية وحروفها الهجائية

وليس اتحاد اللغتين في اصلها موجبا لاتحاد الشكل في حروفها بل قد تختلف اللغات في الاصل وتتحد في الكتابة وقد تتحد في الاصل وتختلف في الكتابة وان الاشوريين ولغتهم سامية قد اخذوا خطهم عن الكاديين وهم طورانيون بل ان اللغة العربية نفسها قد اختلف خطها بين مسند حمير في جنوبي بلاد العرب والشكل الكوفي في شماليها وبين الخطين اختلاف ظاهر لمن عرفهما

وان اللغات التي دخل اهلها في الاسلام واتخذوه دينا قد غير ابناؤها شكل كتابتهم واتبعوا فيها الرسم العربي وان كانت لغاتهم بعيدا اصلها عن اصل اللغة العربية كاللغة التركية الطورانية واللغة الفارسية الآرية فانهما تكتبان بالحروف العربية كما لا يخفى

ان الاختلاف البعيد الشقة بين اشكال الحروف الهجائية في الكتابة على اختلاف انواعها يذهب بالفكر الى استبعاد اتحاد اصله ولذلك اكثر الباحثون من التنقيب وافرغوا الوسع في التحقيق فلم يقف بهم البحث على ماتطمئن اليه النفس من وحدة الاصل أو اختلافه في جميعها ولكنهم على مايظهر كانوا يميلون الى اتحاد الاصل سيما في اللغات الحية اليوم وغاية ما اوردوه من الادلة على ذلك ان اسماء الحروف تكاد تكون واحدة مع اختلاف يسير ففي اللغة العربية الف باء . جيم . دال . وفي العبرانية والسامرية آلف بيث . غامل . دالث . وفي السريانية آلاف . بيث . جيمل . دالث وفي الحبشية الف . بيت . جمل . دن وفي اليونانية الفا . فيتا . غما . ذلتا وهكذا ومن ادلتهم ان ترتيب الحروف يكاد يكون واحدا في هذه اللغات فالالف اول الحروف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال وهكذا

ومن ادلتهم ان طائفة من هذه اللغات مع اختلاف اصلها تجد قوة الحروف فيها تكاد تكون واحدة والمراد بقوة الحروف قوتها العددية او الحساب المعروف بحساب الجمّل فهو في السرياني والعربي واحد وفي اليوناني كذلك مع اختلاف يسير يماثله اختلاف الجمّل في اللغة العربية بين المشارقة والمغاربة

وقد وصل القول باتحاد اصل الخط في اللغات كلها الى حدّ ذهب فيه احد الباحثين الفرنسيين الى التصريح بوحدة الاصل بين الحروف المصرية والحروف الصينية لانه رأى شبهاً بين حروف اللغتين

وقد نسب الخط بعض علماء العرب في القرون الوسطى الى واضع واحد وهو آدم عليه السلام وانه كتب الحروف في طين وطبخها فلما اظل الارض الغرق

اصاب كل قوم كتابتهم وبعضهم جعل الواضع الاول لها ادريس عليه السلام وهناك
اقوال على هذا النمط غريبة لا تشم رائحة التحقيق والله اعلم

كيف نشأ الخط العربي

للعرب تمدن قديم عــرفوا به في الزمن القديم ولم يذكر مؤرخونا القدماء اخباره وانما عرفتنا به مباحث الاثريين في آثار العربية السعيدة وكانت زهرة هــذا التمدن في بلاد العرب الجنوبية كاليمن وحضرموت وما اليها وكانت ديار المينيين مقر ملك عظيم للعرب ومركز تمدن لهم معروف و كانت مملكة متسرى العربية لها المركز الاول تحت قيادة سبي او (صيفي) في الحلقة التي عقدت على خلع طاعة الاشوريين (لما توفي تغلات فلاسر الثاني مكتسح بلاد العرب بجنوده ومخضعها اسلطانه وتولى سرجون في سنة ١٣٤٢ قبل الهجرة النبوية) وقام بالثورة يومئذ ملك حماه وملك غزه والقائد العربي سبي هذا وقامت لهم في الجنوب الغربي من جزيرتهم مملكة عظيمة تعرف بمملكة سبأ وهي التي كان ممن ولي امرها بالقيس التي اسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ان منها ذا القرنين الحميري الذي قيل ان فتوحاته امتدت الى ماوراء فارس على ما اخرجه بعض الرواة وما زالت آثارا لحميريين ناطقة بعظيم مجدهم وشديد حولهم وقديم عزهم حتى شبه على بعض العلماء فظن ان ابناء فينيقية اخذوا كتابتهم عن الحميرية وان الحميرية كانت اقدم من الفينيقية

وكان العرب اليمانيون يومئذ اهل تجارة وكسب يضربون في الارض التي دانت لملكهم وفي غيرها ووجدت آثارهم مكتوبة بالخط الحميري في تيماء وهي الى الشمال مع ميلة الى الشرق عن المحل المعروف بمداين صالح بين الحجاز والشام وشرقي تبوك واتصلت تجارتهم مع صور الفينيقية يوم كانت سلطانة البحار فكانوا بذلك امس الناس حاجة إلى الكتابة وكان عندهم الخط المسند المعروف بالحميري ويسميه الافرنج بالسبائي نسبة الى مملكة سبا وهو يشبه الفينيقي كما سبقت الاشارة اليه ولكنه احسن هنداماً وابدع شكلا وذلك من ادلة فرعيته عنه

واتصل العرب الشماليون بالاراميين والكلــدان ومنهم السريان فاقتبسوا من معارفهم الكتابة السريانيه ثم اتخذوا منها الشكل العربي المعروف اليــوم بالكوفي وهو لدى الناظر المدقق يكاد يكون كالخط السرياني الشرقي شكلا لولا اختلاف يمكن معه رده الى اصله . وان بين الكتابة السريانية والكتابة الكوفية من الشبه

ما هو اظهر واقرب مما بين الكتابتين العربيتين الحميرية والكوفية

ولم ار اختلافا يعتد به في اقوال الباحثين من حيث نسبة الكوفي الى السرياني الشرقي (الكلداني) ومن حيث نسبة الحميري الى الفينيقي ولكن في النسبة بين السرياني والفينيقي وقع الخلاف وذهب جماعة الى أنهما من اصلين مختلفين فالسرياني ينسب الى السماري والفينيقي الى الهيروغليفي ولم يعلم اشتراك هذين الاصلين في المنشأ الا من حيث اتحاد ابجديتهما ووحدة اسماء الحروف في اللغتين كما تقدم البحث فيه وذلك لم يقنع كثيرا من الباحثين فذهب بعضهم الى تباين الاصلين

اما اتصال الخط بالعرب الحميريين فقد جلبته اليهم تجارتهم مع الفينيقيين ثم دخل فيه التغيير والتبديل بكثرة الاستعمال بحيث اصبح كتابة قائمة بنفسها سميت حميرية وعمّ استعمالها بلاد العرب الجنوبية وان شئت قل اليمنية وبلغ هذا الخط في دولة التبابعة مبلغ الاتقان قال العلامة ابن خلدون المغربي في مقدمته «وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري »

وقد ذهب بعض علماء السريان الى القول بنسبة الخط الحميري الى السرياني فان اراد بالسريان ما يعم الكنعانيين الذين منهم الفينيقيون فلكلامه وجه ولكنه أغرب في التسمية وخالف فيها وان اراد بالسريان الامة السريانية الشرقية المعروفة بالكلدان فقد خالف بذلك جمهور الباحثين

واما اتصال الخط الكوفي (هو المسمى قبل الكوفة بخط الجزم) بالعرب الشماليين فقد اختلف في اصله فذهب ابن خلدون وتبعه كثير من علماء العرب الى انه اشتق من الحميري قال في المقدمة

وانتقل (أي الخط) منها (أي من دولة التبابعة) الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش الى ان قال

فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وحمير هو الائق من الاقوال وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا

مجيدين لها شان الصنائع اذا وقعت بالبدو » وقال غيره « ان سبب تسمية الخط الكوفي بخط الجزم قبل وجود الكوفة لانه جزم اي اقتطع وولدمن المسندالحميري ومرامر هو الذي اقتطعه »

والذي عليه المحققون اليوم ان الخط العربي المعروف اليوم ومثله الكوفي اخذا من الخط السرياني وادلتهم في ذلك كثيرة منها تقارب اشكال الحروف بين الخطين ومنها اتحاد الابجدية في اللغتين ومنها القوة العددية اي حساب الجمل فهو في اللغتين متشابه ومنها اتحاد اسماء الحروف في اللغتين كالالف والجيم والدال والزاي والشين والصاد والضاد وغيرها وفي هذه الحروف ما طرأ على تسميته تغيير قليل كالزاي بدل الزين والعامة لم تغيره والجيم بدل جيمل او جومال والدال بدل دالت اودولاث والصاد بدل صادي ومنها ان كل حرفين يلفظان من مخرج واحد يتشابه رسمها في العربية وفي السريانية كالصادوالضادوالطاء والظاء ولكن بعض هذه الحروف التي تشابه في الخط ذات القرب منها في المخرج غير موجودة في السريانية وانما احتاجوا اليها في خطهم المعروف بالكارشوني وهو ما كان لفظه عربيا ورسمه سريانيا

فجعلوا للحروف التي لا توجد في السريانية علامات خاصة بان اتخذوا شكل ما كان قريبا منها في المخرج ووضعوا عليه نقطة لتنوب مناب تلك الحروف كالدال والذال فجعلوا الثاني نقطة من اعلاه والكاف والخاء فللكاف نقطة عليا والخاء نقطة سفلى وكذلك الطاء والظاء والصاد والضاد فهل جرى السريان هذا المجرى بعد معرفتهم العربية ليدلوا على حروفها التي عريت منها لغتهم فيكونون قد اخذوا اصطلاح النقط فيها عن العرب فلا يتم حينئذ هذا الدليل ؟ ام ان ذلك اصطلاح عندهم سابق على معرفتهم العربية جروا فيه مع غيرها ثم اجروه فيها ويكون العرب اتخذوا نهجهم في ذلك الرسم ؟ امر موجب للنظر والتأمل . . .

ومن ادلتهم على تفرع خطنا العربي عن السرياني ان الخط السرياني تكتب حروفه متصلة فللحرف ثلاثة اشكال في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها وكذلك الخط العربي بخلاف الحميري والعبراني على ان السريانيين اعرق في الاتصال حتى انهم يحذفون الالف إذا جيء به حرف مد في حشو الكلمة وتبعهم العرب في بعض ذلك فاوجبوا حذف الالف من هذا وهؤلاء ولكن . ومن ادلتهم ان كل الحروف التي تنفصل في السريانية عما بعدها كالراء والواو والالف والدال هي كذلك في العربية

هذا مجمل مما ذكره الباحثون في ترجيح اصالة السريانية للخط العربي المعروف بالكوفي وهذه الادلة لا تتم في الخط الحميري اما في اسماء الحروف فلم يدلنا التاريخ على كيفية اسمائها عند التبابعة بل اغفل التاريخ العربي شكلها ورسمها وغاية ما وصفها ابن خلدون بانها حروف منفصلة حتى قام علماء الآثار في العصر الاخير واستعانوا بالخط الحبشي القريب الشكل من الحميري على حل رموز هذا الخط وقراءته . ولم اعلم انهم وقفوا له على كتب تعليمية هجائية كما اتفق لهم في الخط البابلي فلذلك لا يمكن لنا البحث في هذا الامر

واما اشكال الحروف فبعد ما بين الخطين ظاهر لمن عرفهما وليس فيهما ادنى مشابهة واما تشابه الحروف اذا كانت من مخرج واحد فذلك لا اراه في الخط الحميري وانك تجد في الحميري الفرق ما بين رسم الباء التي هي من حروف الشفة ورسم العين الذي هو من حروف الحلق القصوى ما هو اقل بعدا من بين رسم التاء والثاء اللتين هما من حروف الوسط ومخرجها يكاد يكون متحدا وكذلك الصاد والضاد والطاء والظاء

ثم ان الخط الحميري يكتب منفصلا كله وليس فيه اتصال كما هو ظاهر لمن عرفه وكما نص عليه ابن خلدون فيما تقدم بيانه فليس بينه وبين الخط العربي من هذه الحيثية ادنى نسبة ولكن السرياني ليس كذلك بل هو كالعربي في الاتصال والانفصال

اصل الخط الكوفي والمذاهب فيه

الخط الكوفي هو الذي عرف في البلاد العربية الشمالية وسمي بالكوفي نسبة الى الكوفة التي عمرت ومصرت بعد غلبة المسلمين على العراق فاسمه هذا حادث بالنسبة الى وضعه وكان قديما يعرف بالجزم قال صاحب بلوغ الارب « لانه جزم او اقتطع وولد من المسند» وهذا القول منه مبني على ما اشتهر لدى اكثر كتاب العرب من ان اصل الكوفي كان من الحميري مما غلط فيه العلامة ابن خلدون المغربي وصاحب القاموس وقد بينا ما في مذهبهما من البعد عن محجة الصواب

ولعل الجزم اخذ من قولهم جزم القراءة اي وضع الحروف مواضعها والجزم في الخط تسوية الحروف بالقلم قاله في القاموس وقد اشتهر بين الرواة ان اول من وضع الخط العربي ثلاثة رجال من بولان (وبولان قبيلة من طيء) نزلوا مدينة الانبار وهم مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصلة ثم قاسوها على هجاء السريانية فاما مرامر فوضع الصور واما اسلم ففصل

ووصل واما عامر فوضع الاعجام اي النقط وهذه الرواية مسندة الى ابن عباس اخرجها احد علماء القرن الثامن في موءلف له نفيس في علم الخط وفيها من الدلالة على ان اصل الكوفي من الخط السرياني ما لايحتاج معه الى بيان وهو المطابق للادلة السابقة التي سردناها حجة على ذلك

وروى صاحب كشف الظنون مثلها مع اختصار فلم يتعرض لما كشفته هذه الرواية من ان الثلاثة الواضعين قاسوها على هجاء السريانيه

وقيل ان مرامر ورفيقه اخذوها من كاتب الوحي النبي هود عليه السلام وعلموها اهل الانبار وانتشرت من الانبار وقال العلامة ابن خلدون ان سفيان بن امية اخذ الكتابة عن اسلم بن سدرة وهو كما علمت احد الثلاثة الذين قيل عنهم في الرواية السابقة انهم اخذوا الخط عن هود فيكون مع الجمع بين الروايتين ان اسلم اخذها عن كاتب وحي هود عليه السلام واعطاها سفيان بن امية وبينهما من آلاف السنين ما لا يقطعه عمر ولا اعمار فانظر الى مقدار الخلط والخبط في هذا الامر الذي لم تنجل حقيقته الى اليوم

وذهب قوم الى ان واضع الهجاء العربي والحروف العربية ستة اشخاص من طسم كانوا نزولا عند عدنان بن ادد اسماوءهم ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت فوضعوا الكتابة والخط وما شذ من الحروف عن اسمائهم الحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ثم انتقل عنهم الى الانبار واتصل باهل الجزيرة وفشا في العرب

ويروى انها اسماء ملوك مدين قاله صاحب كشف الظنون وقيل فيه انهم هلكوا يوم الظلة بدعوة شعيب عليه السلام وقالت احدى القينات ترثي كلمن

كلمن كلم قلبي هلكه وسط المحله

وقال العلامة الزمخشري في كتابه المعروف بغريب القرآن مانصه « ابو جاد وهواز . وحطي . وكلمن . وسعفص وقريشيات اسماء ملوك مدين في قول الشعبي قال شاعرهم

ملوك بني حطي وهواز منهم وسعفص اهل للمكارم والفخر
هم صبحوا اهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس اوطالع الفجر

وقال الضحاك انها اسماء الايام الستة التي قال الله تعالى في القرآن خلق الله السموات والارض في ستة ايام وقال هشام بن عروة انها اسماء من وضع الكتابة

وضعوها على اسمائهم ثم الحق بها الروادف

ونقل الجوهري عن الشرقي بن القطامي ان اول من وضع الخط رجال من طي فيهم مرامر بن مرة وانشد عليه

تعلمت باجاد وآل مرامر وسودت اثوابي واست بكاتب

قال الجوهري وانما قال وآل مرامر لانه كان سمى كل واحد من اولاده بكلمة من ابي جاد وهم ثمانية

وهذه الرواية ذاهبة الى ان اصحاب هذه الاسماء ليسوا من مدين او من طسم بل هم من طيء

وقيل ان بني اسماعيل وضعوا كتاباً واحدا جعلوه سطراً واحدا موصول الحروف ثم فرقه تبت وهميسع وقيدار . فرّقوا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر وهذه الرواية بعدت في مذهبها عن الروايات السابقة وقيل ان اول من كتب الكتاب العربي رجل من بني النضر بن كنانة وعنه اخذ العرب

وقيل ان اول من وضع الخط العربي بنو اياد وكانت منازلهم العراق واستبعده « ابن خلدون » لأن ايادا وان نزلوا ساحة العراق فانهم لم يزالوا على شأنهم من البداوة . والخط من الصنائع الحضرية وانما معنى قول الشاعر

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والخط والقلم

انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها

وقيل ورجحه السهيلي واسنده الى ابن عبد البر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان اول من كتب بالعربية اسماعيل عليه السلام قال ابن عبد البر وهو اصح من القول بأن اول من تكلم بالعربية اسماعيل

الخط النسخي المعروف اليوم

ذهب الجمهور من علماء العرب الى ان النسخي اخذ من الكوفي والكوفي اصل له وذهب فريق منهم ان الذي نقله الوزير ابو علي بن مقلة الكاتب المعروف المتوفى سنة ٣٢٨ قال في كشف الظنون « وهو اول من كتب الخط البديع ثم ظهر صاحب الخط البديع علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ ولم يوجد في المتقدمين من كتب مثله ولا قاربه وان كان ابن مقلة اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين

وابرزها في هذه الصورة له افضلية السبق » والظاهر من قوله اول من نقل هذه الطريقة وابرزها في هذه الصورة انه يريد بها الخط النسخي الشائع وانه هو الذي سماه بالخط البديع لأن اسم الاشارة في قوله هذه الصورة يراد بها الصورة الماثلة للخط لدى صاحب كشف الظنون وهو من المتأخرين كما لا يخفى والصورة الماثلة لديه هي صورة الخط النسخي فتدبر ولعله انما نسب الى ابن مقلة لأنه اول من اشتهر به ونقل عنه وإن كان سلك فيه سبيل الاتباع لغيره

او انه ادخل في شكل الكتابة تحسينا سمي باشتهاره عنه اختراعا وقارب تحسينه هذا الخط النسخي فنسب اليه

قال صاحب اعانة المنشيء على مانقله عن بعض افاضل القرن الثامن

« ان الوزير ابا علي بن مقلة واخاه ابا عبد الله ولّدا طريقة اخترعاها وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربوهما وتفرد ابو عبد الله بالنسخ والوزير بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف واجاد تحريرها وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها انتهى

والا فالخط النسخي معروف قبل ابن مقلة وقد ذكر صاحب اعانة المنشيء صاحب قوله «ولدا طريقة اخترعاها » كما سبق «ان اول مانقل الخط العربي من الكوفي الى الاقلام المستعملة الآن في آخر خلافة بني امية وأول خلافة العباسيين» وجعل في مقام آخر انتهاء صناعة الخط الى رجلين من اهل الشام يقال لاحدهما الضحاك والثاني اسحاق ابن حماد مستندا في ذلك على رواية أبي جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتاب وقال ان الضحاك كان في خلافة السفاح واسحاق في خلافة المنصور والمهدي . اذاً يسبقان ابن مقلة بمدة تقارب القرنين فلا يحمل كلامه ولدا طريقة اخترعاها الا على ان ابن مقله واخاه ادخلا تحسينا من حيث البسط والتقوير وامثال ذلك في الخط ولا يحمل على ان المراد بها النسخي لأنه استدل على وجوده قبل ابن مقلة كما تقدم

وكأن صاحب اعانة المنشيء اراد بالاقلام المستعملة التي قال ان الضحاك واسحاق نقلا اليها الخط من الكوفي هي غير الكوفي لان لفظة النقل تشعر بذلك

وقد ذكر الفاضل المتقدم ذكره نسبة اختراع الخط المعروف اليوم الى ابن مقلة وغلط القائلين بذلك فقال

«على ان الكثير من كتاب زماننا (القرن الثامن) يزعمون ان الوزير ابا علي بن

مقلة رحمه الله هو اول من ابتدع ذلك وهو غلط فانا نجد الكتب بخط الاولين فيما قبل المأتين مما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه الى نحو هذه الاوضاع المستقرة وان كان هو الى الكوفي اميل اقربه من نقله عنه "

ويؤيد هذا القول ان في المكتبة الخديوية بمصر نسخة من الرسالة للأمام الشافعي كتبت سنة ٢٦٥ اي قبل وفاة ابن مقلة بثلاث وستين سنة وخطها الى النسخي اقرب منه الى الكوفي

وقد وجد الباحثون حجراً في اللجا من جبل حوران عليه كتابة عربية ويونانية يرتقي زمنها الى ماقبل الهجرة النبوية باربع وخمسين سنة والخط العربي فيها من النوع النسخي

والذي يظهر من ذلك ان الخط النسخي كان موجودا ومستعملا قبل الاسلام في ديار الشام والعراق ولم يقم دليل على عدم فرعيته عن الكوفي كما لم يقم دليل على الفرعية ولكن الاعتماد على القول بان اصل الخط العربي الشمالي هو من السرياني يقرب القول بالفرعية لأن الكوفي اقرب الى الاصل الذي هو السرياني من النسخي ويمكن القول بان النسخي اخذ من الخط النبطي الذي كان مستعملا عند الانباط زمن دولتهم في البتراء وهم اخذوه عن الآرامي والسرياني والله اعلم

كيف اشتهر الخط الكوفي دون غيره في صدر الأسلام

ان الاسلام هو ولا ريب مبعث حضارة العرب والاساس الاعظم في تمدنهم والخط انما هو من لوازم الحضارة وتوابع العمران كما نص عليه العلامة ابن خلدون قال في مقدمته « لهذا نجد اكثر البدو اميين لايكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واحسن واسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها» ولا شك ايضا ان الاسلام قد صبغ بصبغة اهله اكثر الديار التي دخلها بل كل البلاد التي دخلت في طاعته زمن الخلفاء الراشدين من حيث اللغة والعادات لأن العرب وهم يومئذ معتزون بعربيتهم حاكمون بسلطتهم لأن منهم دعاة الاسلام وحملة القرآن وقد نزل القرآن بلسانهم فزادهم ذلك استمساكا بما هم عليه من العصبية العربية كانوا اذا فتحوا بلادا واستعمروها لايجدون بعد دينهم امرا يحتفظون به اعظم من عاداتهم التي قبلها الاسلام منهم واقرّهم عليها ومن ذلك الكتابة فانها وان تكن عرفت في ديار اليمن وكانت الحميرية لهم وفي ديار العراق وكان الجزم خطهم الا ان انتشارها كان بانتشار

المسلمين الذين تلقاها الصدر الاول منهم فكتبوا بها القرآن واحتذى سبيلهم جميع المسلمين يومئذ فانمحت الكتابة الحميرية من اليمن وحلّ محلها الخط الكوفي وانفرد هذا الخط بالقطر العراقي وفي بلاد الشام فلم يعرف بعد ذلك غيره عندهم الا قليلا ولعله بقيت بقية فيه تعرف الخط النسخي حيث اتصل بالضحاك واسحاق زمن السفاح العباسي الذي اتخذ العراق دار ملكه كما تقدم الكلام في ذلك وكان اول خط عرف في الاسلام هو الخط المكي نص على ذلك ابن اسحاق ونقله عنه صاحب كشف الظنون وقال بعض الباحثين من المتقدمين «ولم ينتشر الخط كل الانتشار الى ان كان المبعث» فيكون انتشار الخط بين المسلمين انما كان بدوءه من مكة ثم المدينة واول وصول الخط الى مكة كان على يد حرب بن امية وقيل سفيان ابن امية ذهب الى ذلك ابن خلدون وكثير من المحققين وقد نقل عن الفراء عن العمري انه قيل لابن عباس من اين تعلمتم الهجاء والكتاب والشكل قال علمناه حرب بن امية وقيل لاهل مكة من علمكم الكتابة فقالوا ابو سفيان بن امية فقيل ومن اين اتته قالوا من رجل من اهل الحيرة وقال اهل الحيرة اخذناها عن الانبار وقال ابو بكر بن ابي داود عن ابن السائب تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من اهل الانبار وخرج الى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب فعلم اباها الخط وقال غيره ان اباسفيان بن حرب تعلم من ابيه حرب وتعلمه عمر بن الخطاب وجماعة من قريش

ثم اتصلت الكتابة بيثرب من رجل يهودي من يهود مكة تعلمه فكان يعلمه الصبيان فجاء الاسلام وفي المدينة بضعة عشر رجلا يكتبون منهم سعيد بن زرارة والمنذر بن عمرو وابي بن كعب وزيد بن ثابت وكان يكتب بالعبرانية ايضا ورافع ابن مالك واسيد بن حضير ومعن بن عدي وابو عبس بن كبير وبشير بن سعد

وقد كان كتبة الوحي من المهاجرين والانصار يرجع السند في اتصال الكتابة اليهم (كما هو ظاهر مما تقدم) الى حرب بن امية او سفيان بن امية على اختلاف القوانين وكان خطهم يومئذ هو المعروف بعدهم باسم الكوفي نص على ذلك صاحب الابحاث الجميلة ونقله عنه صاحب كتاب الخط

ولا ريب ان المسلمين بعد ذلك ساروا بسيرة كتبة الوحي الذين هم اول من كتب في الاسلام واتخذوا شكل حروفهم فعمّت حينئذ الكتابة الكوفية ولم يقم احد يومئذ بالدعوة الى غيرها حتى استبحر عمران الاسلام وتفرقت امصاره فتفاوتت البلاد في العناية بامره

حملة الخط النسخي

قلنا ان صناعة الخط انتهت الى رجلين من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وهما الضحاك واسحاق ثم نشأ بعدهما جماعة اشهرهم ابراهيم الشجري اخذ الخط عن اسحاق بن حماد المذكور واحدث طرقا جديدة في الكتابة ثم اشتهر بعده محمد بن معدان المعروف بابي زرجان اخذ الخط عن الشجري ثم اخذ عن ابي زرجان احمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف وكان في عصر المعتصم العباسي ذا وجاهة عند الوزير ابن الزيات مقدما عنده لا يكتب بين يديه غيره

ثم عرف بمصر كاتب مجيد اشتهر باسم طبطب قال النحاس كان اهل بغداد يحسدون مصر عليه

وعرف بعد ذلك الوزير ابو علي ابن مقلة واشتهر امره حتى صار مضرب المثل في جودة الخط واخذ عنه ابن السمساني وابن اسد وعنهما اخذ ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب المشهور ثاني ابن مقلة في الشهرة واخذ عن ابن البواب محمد بن عبد الملك واخذت عن ابن عبد الملك امرأة من فضليات نساء عصرها حتى انتهت اليها صناعة الخط في عصرها وهي الشيخة المحدثة الكاتبة زينب الملقبة بشهدة بنت الابري وعنها اخذ امين الدين ياقوت وعنه اخذ الولي العجمي وعليه كتب العفيف وعن العفيف ولده عماد الدين وعنه شمس الدين بن ابي رقيبة محتسب الفسطاط وعنه الشيخ شمس الدين محمد بن علي الرقادي وعنه الشيخ زين الدين بن شعبان بن محمد بن داود الاثاري محتسب مصر ناظم الفية الخط المسماة بالعناية الربانية في الطريقة الشعبانية من علماء القرن الثامن للهجرة

كذا ساق هذه السلسلة صاحب الكتاب في الخط المتقدم ذكره

وقال صاحب كشف الظنون بعد أن ذكر ابن البواب في مشاهير الكتاب «وكان شيخه في الكتابة محمد بن اسد الكاتب ثم ظهر ابو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ ثم ظهر ابو المجد ياقوت بن عبد الله الرومي المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨ وهو الذي سار ذكره في الآفاق واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته ثم اشتهرت الاقلام الستة بين المتأخرين وهي الثلث والنسخ والتعليق والريحان والمحقق والرقاع ومن الماهرين في هذه الانواع ابن مقلة وابن البواب وياقوت وعبد الله ارغون وعبد الله الصيرفي ويحيى الصوفي والشيخ احمد السهروردي ومبارك شاه السيوفي ومبارك شاه

القطب واسد الله الكرماني ومن المشهورين في البلاد الرومية حمدالله بن الشيخ الاماسي وابنه دده چلبي والجلال والجمال واحمد القره حصاري وتلميذه حسن وعبدالله القريمي وغيرهم من النساخين ثم ظهر قلم التعليق والديواني والدشتي وكان ممن اشتهر بالتعليق سلطان علي المشهدي ومير علي ومير عماد وفي الديواني تاج وغيرهم»

ولم يكن هؤلاء الافاضل مع شهرتهم في الخط منفردين في تجويده بل كان في عصورهم من يقاربهم في الجودة والاتقان

تنوع الخط

ان تفرق الاقطار واختلافها كما اثر في الاخلاق واللغة والعادات كذلك اثر في الخط فاختلف باختلاف البلاد وتنوع بذلك الخط العربي الى انواع فكان قديما (فضلا عن الخط الكوفي) الخط البغدادي والخط الافريقي والخط الاندلسي والخط النسخي قال ابن خلدون في المقدمة

« لما انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية والاندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الخط الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد (عهد ابن خلدون) ويقرب من اوضاع الخط المشرقي وتحيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد «ثم قال» واما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم امم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللمتونية الى هذا العهد فغلب خطهم على الخط الافريقي وعفى عليه ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها . . . . . .

وحصل في دولة بني مروان من بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط بافريقية والمغربين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة»

هكذا الحال في المغرب الى عصر ابن خلدون وهو في آخريات القرن الثامن للهجرة

وقد كان الاختلاف بين خط اهل المغرب واهل المشرق في شكل الحروف واضحا لمن يتأمله وما زال الفرق ظاهرا الى اليوم في الدال والذال والكاف والفاء والقاف اختلاف بين الخطين لايخفى على من عرفهما

وكذلك اختلف شكله في البلدان التي دخلها يحمله اليها حملة الملة الاسلامية وناشروا الدعوة المحمدية ايام انبسط ظل الخلافة على اكثر انحاء المعمور فانقلب الخط الفارسي من شكله القديم الى شكله العربي المعروف ولم يبق من حملة الخط الاول العارفين به ممن يتكلم الفارسية غير بقية من خدمة الدين عند المجوس وقليل من غيرهم على قلة من العناية ونقص في الرغبة يحدو المجوس اليه تقاليد دينية قديمة وكلهم مع ذلك بالخط العربي اعرف لانه اصبح خط اللغة العام واقتصر من الخط الفارسي على الامور الدينية والاثرية

ولم يكن للأتراك من خط غير خطنا هذا لانهم عرفوا الاسلام قبل الخط فلم يختاروا غير الكتابة المعروفة عند اهله

وكذلك اهل الهند فانهم نبذوا خطهم القديم واستمسكوا بخطنا العربي ولم يدخل قوم في الاسلام الا ومالوا الى اتباع اهله سيما في الخط الا ماشذ من مسلمي الصين لأن هؤلاء لم يملكوا ازمة الدولة في الديار الصينيه بل نشأوا اقليلي العدد والعدة بين قوم عقدوا الايدي على التمسك بعاداتهم وتقاليدهم فلم يؤثر اسلام فريق منهم في شيء من احوالهم اثرا مذكورا ولكن مسلمي الصين مافتأوا يحنّون الى العربية ودراستها لأنها لغة القرآن وكثير منهم عارفون باللغة العربية والخط العربي

قضت الضرورة على الذين اتخذوا الحروف العربية لكتابة لغاتهم ان يزيدوا فيها ماليس له في العربية لفظ

اخذ الاتراك حروفنا الهجائية وزادوا عليها خمسة احرف ليس لها في العربية مثيل اربعة منها اخذوها عن الفارسية وهي (پ) تلفظ بين الباء والفاء كالحرف (P) عند الافرنج و(ژ) تلفظ كالجيم المخففة عند اهل الشام اوكالحرف (Je) عند الافرنج و (گ) تلفظ كالجيم المصريه اوكالحرف (G) عند الافرنج و(چ) تلفظ بين التاء والشين

وحرف واحد انفرد به الاتراك عن الفرس وهو (ڭ) وتسمى عندهم صاغر كاف اي الكاف الصماء وتلفظ كالنون كتب بهذه الحروف الاتراك على اختلاف لهجاتهم بين عثمانية وقازانية وقريمية واذربايجانية وداغستانية وقرغيزية وجغطائية واوزبكية

وتركية وغير ذلك

وكتب بحروفنا العربية الفرس فزادوا حروفهم الاربعة التي تقدم ذكرها وانتظم فيها لهجتا فارس والافغان وتبعتهما في ذلك اللغة المنتشرة بين اكراد فارس وارمينية وديار بكر

وكتب بحروفنا العربية اهل الهند وزادوا عليها الاحرف الاربعة الفارسية ثم حروفا غيرها لمقاطع الفاظهم التي لا توجد في العربية والفارسية منها التاء باربع نقط لمقطع بين التاء والطاء و(الذال) باربع نقط لهجاء بين الذال والضاد و(الزاي) باربع نقط للفظ بين الراء والغين وكتب بها منهم ابناء اللغة الاوردية والدكنية والكشميرية والسندية والچاتكية

وكتب بحروفنا العربية سكان بلاد الملايو (جاوه) وزادوا عليها حروفا لاصوات خاصة بهم وهي (چ) بثلاث نقط وتلفظ عندهم هكذا . تشا . و(غ) بثلاث نقط وينطق بها . نجا . و (ف) بثلاث نقط تلفظ كالحرف الافرنجي (V) و(ك) فوقها نقطة واحدة تنطق جا و (ث) بثلاث نقط فوقية تقوم مقام (نيا)

: وكتب بحروفنا الزنج في زنجبار وتعرف لغتهم بالسواحلية والجزراتيه والزنج في بلاد النيجر او (مملكة حوسة) في السودان الغربي وتعرف لغتهم بالحوسية

وكتب بها البربر سكان الريف من بلاد مراكش وتعرف لغتهم بالشلحية والبربر من اهل الجزائر وتعرف لغتهم بالقبائلية ولهم احرف زائدة على الحروف العربيه

وكتب به غير من ذكرنا ولما قام بالامس ابناء البانيا الارناؤوط ليكتبوا لغتهم اختار لها الفريق الاكبر منهم وهم المسلمون المتدينون الاحرف العربية جرياً لهم على سنة من تقدمهم من الامم التي اتبعت في كتابتها النسق العربي وان كانت ذات تمدن قديم وخط معروف مألوف فكيف بالالبان الذين لم يكن لهم خط معروف وارادوا اليوم ان يتخذوا خطاً لهم واختار فريق من الذين اشربوا المدنية الغربية وتلقنوا عاداتها الحروف الافرنجية و كانت الغلبه لهؤلاء

كتبت كل هذه الامم بالحروف العربية وامتاز خط كل امة عن غيرها من حيث التفنن في هندام الحروف والتصرف في بسطها وتقويرها فكان الفارسي له قلم غير القلم العثماني والهندي نسق غير نسق الفارسي ولهذه الاقلام شكل غير المغربي وهكذا وبقي من اصطلاحات الخط القديمة اقلام ما زالت تعرف باسمها القديم كالثلث والنسخ والتعليق

واستحدثت بعد ذلك اقلام اخرى كالديواني والفارسي وغيرهما

وما زالت العناية بالخط منتشرة ولمصر بعد بغداد الحظ الاكبر فيها حتى باد أمر الخلافة منها وسلبها السلطان سليم كثيرا من مهرة صناعها واساتذتها واصطحبهم الى القسطنطينية فعرفت بعد ذلك هذه العاصمة الكبرى بالعناية في تجويد الخط وعرف قلم منه باسم الخط الاسلامبولي نسبة الى اسلامبول وهو من اسماء القسطنطينية واشهر من اشتهر فيها بعد عصر صاحب كشف الظنون الخطاط المشهور المعروف بحافظ عثمان وهو من كتبة القرآن

: الا انه لما ظهرت صناعة الطبع بالحروف اثر ذلك في رغبة الناس في تعلم الخط فضعفت العناية فيه وكادت تتفق خطوط الامصار النائية والبلاد المختلفة على شكل واحد وهو المعروف بالنسخي الاسلامبولي

وقد رايت ان بعض المطابع في بلاد مراكش قد نبذت الخط المغربي مع بعده عن الاسلامبولي واتبعت سنة غيرها من المطابع العربية والتركية بل والفارسية والهندية من المطابع غير الحجرية باستعمالها كلها قلماً واحدا وهو القلم النسخي كما تقدم وبقيت لدى المطابع العربية بقية مسكة بغير النسخ من الاقلام فباتت تستعملها في العناوين حبًا بالتفنن كما نرى في كثير من مطابع القسطنطينية وسوريا ومصر من كتابة العناوين بالخط الفارسي والتركي بل وبعضها بالكوفي . . . .

ترتيب الحروف الهجائية

اختلف في عدد حروف الهجاء عند العرب فجعلها بعض تسعة وعشرين حرفا خمسة وعشرون منها صحيحة وثلاثة منها وهي الالف والواو والياء حروف علة وحرف واحد شبيه بحرف العلة وهو الهاء وجعلها بعض ثمانية وعشرين حرفا فاسقطوا منها اللام الف لانهم اعتبروها هجائين لاماً والفاً وجعلوا الحرف الاول من حروف الهجاء وهو الالف دالاً على الهمزة باعتبار النطق به وعلى حرف العلة باعتبار اسمه وصورته واما الذين عدوا اللام الف مع الحروف فقد اعتبروها هجاء واحدا وهو الالف ولم يقيموا اللام معها وزنا لانه اتى بها وصلة للنطق بالالف التي يتعذر التلفظ بها منفردة وانما اختاروا اللام لها دون سائر الحروف لانها تصاحبها في اداة التعريف (الالف واللام) فكانت معها ايضا في الهجاء

والظاهر ان اللام الف دخلت في الحروف متأخرة عن وضع اخواتها ولذلك

لاترى لها ذكرا في الحروف المزدوجة المركبة المعروفة بالابجدية

واتفق المتهوسون في علم اسرار الحروف على قسمة الاحرف الهجائية الثمانية والعشرين الى نارية وهوائية ومائية وترابية واتبعوا فيها مساق ترتيبها في كلمات ابجد ثم قسموها الى قسمين شمسية وهي ماتختفي فيها لام التعريف كالشين في لفظة الشمس وحروفها اربعة عشر وقمرية وهي ماتظهر معها لام التعريف كالقاف في القمر قالوا ولما كانت المنازل القمرية ثماني وعشرين يظهر منها فوق الارض اربع عشرة منزلة ويغيب تحتها اربع عشرة منزلة فالظاهر للقمر والغائب للشمس وكأن ذلك هو الذي حدابهم إلى طرح اللام الف من بين الحروف الابجدية وعدها مع الهمزة لئلا يزيد عدد الحروف على الثمانية والعشرين فيضطرب معهم ذلك الترتيب الذي انتحوه في طبائع الحروف وتقاسيمها

ثم ان نسق الحروف يختلف بين عدها مركبة في كلمات مجموعة منها وتسمى مزدوجة مثل ابجد هوز الخ وبين عدها مفردة على نسقها المعروف ا ب ت ث وفي كلا الترتيبين قد اختلف المشارقة والمغاربة من العرب فالمشارقة منهم يسوقون الحروف على النسق المعروف فيما بينهم الى اليوم ومنهم جل قراء العرفان او كلهم والمغاربة قد خالفوا في وضع السين والشين وما بعدها الى الهاء فكان لهم فيها غير ما للمشارقة وهي عندهم ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي

ولهم في الحروف المزدوجة كذلك غير ما للمشارقة فالابجدية عندهم ابجد هوز حطي كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش

وقد سلكوا فيها ماسلك المشارقة في ابجديتهم فكان آخر الحروف عندهم وهو الشين بمنزلة الغين الذي هو آخر الحروف عند المشارقة وكان جل هذه الحروف تابعاً لترتيبها فالصاد الذي هو يدل على التسعين عند اهل المشرق يدل على الستين عند اهل المغرب والضاد عند هؤلاء عبارة عن الثمانماية وعند اولئك عبارة عن التسعين والسين هنا رمز للستين وهناك للثلاثماية والشين مشرقية ثلاثماية ومغربية الف وهكذا

ولسائل ان يقول اي الترتيبين اقدم واي الطريقين هو الاصل ؟ سوءال لم اقف على بحث فيه لأحد وكذلك القول في نسق الحروف المفردة ونسق الحروف المزدوجة ايهما الاصل والاقدم؟

لايعدم الباحث ادلة تعينه على اختيار واحد من الشقين والمرجح لدى التحقيق هو ان المشرقي اقدم من المغربي وان الترتيب المزدوج اي ترتيب الابجدية اقدم من الترتيب المفرد اي ترتيب ا ب ت ث

سبق لنا القول بذكر الادلة على ان خطنا العربي وقبله الكوفي قد اخذا من السرياني وحروف السريانية اثنان وعشرون حرفا هي حروف : ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت بترتيبها ونسقها وهي كما ترى بعينها الحروف العربية عدا الستة الروادف ولكنها تخالف ترتيب الحروف المفردة ولا شك ان الشكل المطابق للأصل وهو الحروف المزدوجة يكون اقدم من الشكل البعيد عنه وهو الحروف المفردة وان في ذكر الروادف التي هي ليست من حروف اللغة السريانية الاصلية في آخر الحروف دليلا على تأخر وضعها عن ترتيب ما قبلها لأنها جاءت بعد استكمال الترتيب ولا ريب في ان هذه الروادف وضعت بوضع الخط العربي لأنها جزء مقوم له ووضعها سابق على الترتيب المفرد لأن موقعها فيه مع رعاية المناسبات الصورية بينها وبين اخواتها يدل على ان المرتب نظر قبل الترتيب الى كل الحروف ومنها الروادف ثم رتبها فيكون حينئذ الترتيب المزدوج (الابجدي) سابقا على الترتيب المفرد

واذا تصفحنا التاريخ لم نجد للحروف المفردة من حيث ترتيبها المعروف ذكراً في الجاهلية وصدر الاسلام بل كان المذكور المعروف هو الحروف المزدوجة وقد جاء انها كانت تعلّم في صدر الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويشهد لذلك قول الاعرابي

اتيت مهاجرين فعلموني	ثلاثة اسطر متتابعات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا	تعلّم سعفصاً وقريشيات

بل ثبت انها كانت تعلم قبل ذلك في صدر الجاهلية بل انها عرفت لما عرف الخط العربي اوقبله

على ان في ترتيب الحروف المفردة من حيث انتظام وضعها وتنسيقها دليلا على تأخر زمنها ولو تأملت في تنسيق الحروف المفردة لوجدت كل حرف قد وضع مع الحرف المماثل له في الصورة فوضعت التاء مع الباء مثلا وان كانت الباء هي الحرف الثاني والتاء الثاني والعشرين في الابجدية وجعل الخاء مع الجيم وان كان الجيم هو الثالث والخاء رابعا وعشرين وهكذا جعلوا الحروف ثماني عشرة صورة بعدِّ صورة اللام الف منها ثم قسموا هذه الصور الى ثلاث طوائف ما اشتملت الصورة منه على حرف واحد وهي تسع صور وما اشتملت على حرفين وهي سبع صور وما اشتملت على ثلاثة وهي صورتان وجعلوا الصور ذات الثلاثة احرف في اول الحروف بعد الالف

التي قدمت لكونها اقصى حروف الحلق فهي اول الحروف في مراتب النطق ثم جعلوا بعد ذات الثلاثة احرف ذات الحرفين ثم بعدها ذات الحرف الواحد وجعلوا حروف العلة الثلاثة ومعها الهاء في آخريات الحروف فهذا التأنق والاتقان في الترتيب لايكون الا بعد تقدم عصر الكتابة ومزيد العناية فيها ولم يكن للكتابة العربية في اول نشأتها شيء من ذلك فلا جرم كان هذا الترتيب متأخرا عن اول وضع الحروف الذي كان على نسق الابجدية كما تقدم بيانه ويغلب على الظن ان هذا الترتيب وضع بعد الهجرة النبوية في العصر الاسلامي اذ ليس للعرب في زمن بداوتهم مثل هذا الاتقان والبداوة بعيدة عن امثال ذلك

واما القول في الترتيبين المغربي والمشرقي فالظاهر ان المغربي متاخر عن اخيه المشرقي في وضع الابجدية لأن الترتيب الشرقي اقرب الى الاصل وبعد ان ثبت مما تقدم ان هذا الترتيب كان اول وضع الخط العربي او قبله وكان قبل الجاهلية وعلمنا ان العربية لم تدخل بلاد المغرب الا بعد الفتح الاسلامي والخط العربي لم يدخل الا بعد دخول العربية — نعلم قطعاً بتأخر الترتيب المغربي وحداثته بالنسبة الى المشرقي

واما في الحروف المفردة فلم يكن لدينا مايدلنا على زمن وضع هذا الترتيب عند الفريقين لنبني عليه حكما وليس لنا الا النظر في نفس الترتيب واستخراج الحكم منه

انا نجد سبيل المغاربة في ذلك قد خالف سبيل المشارقة بعدم تنسيق صور الحروف من ذات الحرفين في نسق واحد بل جعلوا اربع صور من ذات الحرف الواحد وهي صور الكاف واللام والميم والنون اي حروف كلمن التي هي الصور الوحيدة من ذات الحرف الواحد للاحرف الصحيحة — جعلوها في وسط الصور ذات الحرفين فكانت عندهم بين صورة الطاء والظاء وصورة الصاد والضاد واوردوا بعد ذلك صورة العين والغين وصورة الفاء والقاف وصورة السين والشين ثم ذكروا بعد ذلك صورة الهاء وصور حروف العلة ونجد المشارقة قد ذكروا الصور ذات الحرفين في نسق واحد واتبعوها بعد ذلك بصور حروف كلمن ثم بعدها بالهاء وحروف العلة وفي ذلك من لطافة الترتيب وحسن التنسيق مايدلنا على سبقه الى ذهن المنسق الحكيم الذي جعل الصور ذات الثلاث احرف متجاورة متناسقة

وربما تمكن المناقشة في هذا الاستنتاج ولكننا لابتكار البحث فيه لم نتمكن من التوسع في الكلام عليه ولعل في همة العلماء المحققين من يجلي لنا الحق في ذلك

الاعجام وهو النقط

سبق لنا القول ان محققي العرب ذهبوا الى ان اول من وضع الخط العربي ثلاثة نفر مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وان عامرا هو اول من وضع الاعجام ويظهر من مذهبهم هذا ان النقط (الاعجام) وضع مع الخط العربي ان قلنا بأن الثلاثة كانوا في عصر واحد كما هو الظاهر . وان قلنا باختلاف ازمانهم فهم كلهم قطعا كانوا قبل الاسلام فيكون النقط على كلا القولين سابقا على الاسلام

والذي يسبق الى الذهن بادىء بدء ان النقط انما دخل الحروف العربية لما وضعت الروادف الستة وهي حروف (ثخذ ضظغ) فوضع عليها النقط لكي تتميز عن شبيهاتها من الحروف وكان هذا حظها ايضا في الخط السرياني الكارشوني

لاشبهة ان الاعجام انما وضع دفعاً لالتباس الحروف بعضها ببعض فحيث يؤمن اللبس يستغنى عن الاعجام

وخوف اللبس كان بالطبع حاصلا عند وضع الحروف المتشابهة لأن الواضع جعل الحروف منها ماتتشابه صوره في حالتي الافراد والتركيب ومنها ماتتشابه صوره في حالة التركيب دون الافراد تشابها يوجب الالتباس وقد تشترك ثلاثة احرف في صورة واحدة وقد يكون الاشتراك بين خمسة احرف في بعض الحالات كما اذا وضعت الباء اوالتاء اوالثاء اوالياء اوالنون في اول الكلمة اووسطها فكلها تكون على صورة واحدة لايفرق بينها الا النقط

واذا تأملت في الحروف الهجائية العربية وجدت الحروف المنفردة بصورتها في كل حالاتها لاتتجاوز الستة احرف والاثنان والعشرون حرفا تتشابه ولو في بعض احوالها والمنقوط منها خمسة عشر وغير المنقوط منها سبعة والحروف المنفردة بصورها تراها كلها مهملة

ويبعد عند العقل ان يهمل الواضع هذا التماثل في الصور دون ان يضع لها علامات يميزها بعضها عن بعض وان يترك ذهن المتعلم يتخبط في هذا الالتباس والحيرة ليعتمد على القرينة التي ربما تكون غير موجودة او يصعب على التلميذ الاهتداء اليها

وقد يكتب السريان الكلمات العربية بخطهم السرياني فيحتاجون الى حروف جديدة في خطهم يكتبون فيها الاحرف العربية التي هي غير موجودة في لغتهم ويطلقون

على هذا الخط اسم الخط الكرشوني فعمدوا الى تلك الحروف فوضعوها على شكل ما يقاربها من حروفهم وميزوها عنها بالنقط ولم تخل مع هذا بعض حروفهم الاصلية من الاعجام كما في الراء مثلا

ونقط العبرانيون بعض الحروف الروادف في خطهم كالذال والخاء والظاء . فكأن سنة النقط فشت في خطوط امهات اللغة السامية التي هي العربية والعبرانية والسريانية ولكن حظ العربية كان اكثر واوفر . واشتراك هذه اللغات الثلاث بهذه المزية دليل على قدم وضعها وقد ذهب بعض علماء العرب الى منع الاشتراك في صورة الحروف وقال ان الصورة والنقط مجموعهما دال على ذلك الحرف وظاهر هذا المذهب ان شكل الحروف المنقطة وضع لهجائها المخصوص مع النقط فيكون النقط موضوعا بوضع الحرف غير متأخر عنه على هذا المذهب

ومما يدل على قدم وضع النقط وانه كان معروفا في صدر الاسلام ماروي من ان الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط والتجريد لا يكون الا من شيء كان موجودا والا لزم تحصيل الحاصل وبصحة هذه الرواية تدفع ادلة القائلين بتاخر زمن وضع الاعجام عن صدر الاسلام التي اعتمدوا فيها على خلو المصاحف التي انتشرت في زمن عثمان (رض) في الاقطار منها وكذلك المصاحف التي كانت في اواخر القرن الاول واوائل القرن الثاني كالمصحف الموجود بالمكتبة الخديوية المصرية المنسوب الى الامام جعفر بن محمد الصادق مكتوبا بالخط الكوفي على رق غزال غير منقوط زمن كتابته وانما نقط بعدها (١)

وقد نقل عن ابن عباس وهو من الصدر الاول كما لا يخفى انه قال لكل شيء نور ونور الكتابة العجم وعن الاوزاعي وهو ممن كان في اوائل القرن الثاني معاصرا للامام الصادق مثل قول ابن عباس

وقال ابومالك الحضرمي اي قلم لم تعجم فصوله استعجم محصوله وقال غيره الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة

وقد ذهب كثير من العلماء ولعله الجمهور منهم الى انه اذا امن اللبس استحسن خلو الخط من الاعجام لئلا يظلم به الخط من غير محصل ولعلهم لهذه العلة عروا خط القرآن مع كثرة حفظ الاصحاب له عن النقط اذ في مزيد حفظهم له امان من التصحيف

(١) المقتطف م ١٠ ص ٣٢٨

والتحريف اللذين يأتيان عند طرح الاعجام كما ان كتاب الاموال كانوا الايرون النقط بجال بل عدوا تعاطيه عندهم عيبا في الكتابة وماذاك إلا لأن موضوع كتابتهم مأمون اللبس على الغالب ونقل عن عبد الله بن طاهر انه رأى خط بعض الكتاب فقال ما احسنه لولا انه اكثر شونيزه ونقل المدايني عن بعض الادباء قوله ان كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه

والظاهر مما نقله المدايني انهم قد جردوا الخط من النقط اعتمادا على ذكاء القارىء واختبارا لقريحته فاذا اكثروا له من النقط فكأنهم بذلك وصفوه بقلة الذكاء وبعبارة اصرح بالبلادة فنشأ من ذلك تركهم النقط مدة من الزمن وقد اغرقوا في سلب النقط حتى سلبوا الخط الذي في راس الكاف الفارق بينها وبين اللام

فقد رايت نسخة من تاريخ بغداد للخطيب مخطوطة في زمن المؤلف او بعده بقليل وقد كتب على ظهرها بخط غير خط كاتبها صورة الاجازة لدارسيها في ذلك العصر مؤرخة في سنة خمسماية وثلاث وثلاثين وقد عري كثير من حروفها عن النقط وعريت كافاتها عن الخط الذي في رأسها ومما لوحظ في تلك النسخة سواء في خط الاصل او الاجازة ان بعض الحروف منقوط في بعض الكلمات في موضع وخال عن النقط في نفس تلك الكلمات في موضع آخر مما يدلنا على عدم القصد بالذات الى التجريد من النقط بل يدل على قلة الاعتناء بامره بحيث اصبح الكاتب لاينتبه اليه الا قليلا

وعندي نسخة من كتاب مشكلات القرآن كتبت بخط مصري في القرن السادس قد جعل كاتبها النقط علامة لاكثر الحروف فكما ان الشين مثلا لها ثلاث نقط من اعلاها فللسين ثلاث نقط من اسفلها وكما ان الظاء منقوطة من الاعلى نقطت الطاء من الاسفل وهكذا في الدال والذال والراء والزاي والعين والغين ومع هذا الاغراق في الاعجام تجد كثيراً من الكلمات قد اهمل فيها نقط الحروف المعجمة بالذات ونقطت فيها الحروف المهملة وفي بعضها اهمل كل النقط سواء في المعجمة والمهملة وما ذاك الا لقلة الاعتناء كما تقدم

وذهب السيوطي في المزهر كما نقله عنه صاحب كشف الظنون ان النقط متأخر عن وضع الحروف وان اول من وضع النقط هو ابو الاسود الدؤلي بتلقين علي عليه السلام ولا يبعد ان يريد السيوطي بالنقط الشكل لأن المنقول ان ابا الأسود وضعه بتلقين علي عليه السلام .

وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي عن كتاب التصحيف لابي احمد العسكري ان الناس عبروا يقرأون في مصحف عثمان رضي الله عنه نيفا واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال ان نصر ابن عاصم قام بذلك فوضع النقط افراداً وازواجا وخالف بين اماكنها فعبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطا فكان مع استعمال النقط ايضا يقع التصحيف فاحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط الاعجام فاذا اغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توفَّ حقوقها اعترى التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها الا على الاخذ من افواه الرجال بالتلقين انتهى ولعله يريد بالاعجام هنا الشكل وهذا الكلام ظاهر في أن النقط لم يكن موجودا من زمن عثمان الى زمن عبد الملك بن مروان نيفا واربعين سنة وان واضع النقط هو نصر بن عاصم بامر الحجاج اما حديث المزهر وان الواضع لها هو ابو الاسود فقد حمل على الشكل ولكن علي م يحمل هذا وهو صريح بالمقصد والعجب كيف ان ابا الاسود مع تقدم زمنه على زمن نصر بن عاصم عمد الى وضع الشكل خوف الالتباس في اعراب الكلمات ولم يضع النقط خوف الالتباس في الحروف الذي هو اولى بالرفع لأن تقويم اصل الكلمة مقدم على تقويم اعرابها واما ان الخط الكوفي قد استعمل عاريا عن النقط في الصدر الاول فهو معلوم قطعا لا يحتمل الريب ،

وقال صاحب كشف الظنون في اول كلامه على النقط والاعجام (اعلم ان الصدر الاول اخذ القرآن والحديث من افواه الرجال بالتلقين ثم لما كثر اهل الاسلام اضطروا الى وضع النقط والاعجام) وهو ظاهر في ان كتابة الحديث والقرآن قبل ان يكثر اهل الاسلام كانت عارية عن النقط وهو يؤيد ايضـا ماورد في كتاب التصحيف للعسكري وقد تقدم ذكره من ان نقط المصاحف كان في زمن الحجاج

ثم ان صاحب كشف الظنون استبعد وضع الحروف مع تشابه صورها عارية عن النقط واستقرب ان النقط وضع بوضع الحروف واستشعر بما في كلامه الاول وهذا الكلام من الاضطراب فدفعه بقوله وقد روي ان الصحابة جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط ولو لم يوجد في زمانهم لما صح التجريد منه فظهر من ذلك ان خلو المصاحف من زمن عثمان الى زمن عبد الملك عن النقط لا يصلح دليلا على تأخير وضع النقط الى عصر الحجاج فان ذلك كان من تجريد الصحابة للنقط التي كانت موجودة

قبل ان كتبت المصاحف واتبع الناس سيرتهم في غير المصاحف ويؤيده ماذهب اليه بعض العلماء الباحثين من ان تجريد الصحابة القرآن من النقط حين ابتدء جمعه كان حتى لايدخلوا بين دفتي المصحف شيئا سوى القرآن

ويجمع بين القول بوضع النقط مع وضع الحروف وبين رواية التصحيف للعسكري. انه لما كثرت الفتن بين المسلمين وقلّ عديد الحفظة لكتاب الله اعتمد معلمو القرآن على مارسم في المصحف ومع خلوه من النقط كثر التصحيف والتحريف ففزع الحجاج الى كتابه ومنهم نصر بن عاصم الليثي تلميذ ابي الاسود الدوءلي فاعادوا النقط الذي كان معروفا قبل وزادوا على ذلك تنقيط الحروف المهملة لزيادة الايضاح ولم تسر تلك السنة في الكتابة الا بعد ذلك بزمن طويل ولكن احتذاها بعض الكتاب منذ ذلك العصر الى ان انتشر استعمالها بالرجوع الى الطريقة المستقيمة من اعجام المعجم واهمال المهمل ومما يدلك على ان مذهب قدماء الخطاطين من العرب تجريد الحروف من النقط عند امن اللبس فقط ماذهب اليه الشيخ اثير الدين ابو حيان من ان القاف والفاء اذا كتبتا مفردتين جردتا من النقط لأمن اللبس من عدم تماثل صورتيهما في تلك الحال وقالوا ان النقط انما وضع عند خوف اللبس اما مع الأمن منه فالاولى ترك النقط لئلا يظلم الخط كما تقدم القول فيه لذلك رأى جامعو كتاب الله زمن الخلفاء الراشدين تزيينا لخط القرآن تجريده من النقط الذي يمكن الجزم بانه وضع بوضع الخط لأن اللبس بين الحروف يومئذ كان مأمونا لكثرة الحفظة للآيات

ومما ذكره ابن خلكان في ترجمة الحجاج المتقدمة الدالة على انه كثر التصحيف وانتشر بالعراق زمن عبد الملك بن مروان بعد ان قرأ الناس نيفا واربعين سنة (بالطبع بلا تصحيف) نتخذ دليلاً على ان اللبس بين الحروف كان مأمونا قبل ان ينتشر في زمن الحجاج ويقوم باصلاحه نصر بن عاصم فيمكن والحالة هذه الاعتماد على ان عدم تنقيط المصحف زمن جمعه كان لأمن اللبس مع رغبتهم في تجريد القرآن عن كل شيء هو غير قرآن وليس لأن النقط كان غير معروف في ذلك الحين

واما الشكل

فقد كاد جمهور الباحثين يتفقون على ان واضعه ابو الاسود الدوءلي ورووا كما في نزهة الالبا ان زياداً بن ابيه بعث الى ابي الاسود يقول له ان هذه الحمراء قد كثرت وافسدت من السن العرب فلو وضعت لهم شيئا يقيمون به كلامهم فابى عليه

فبعث زياد رجلاً قعد في طريق ابي الاسود يقرأ القرآن متعمداً فيه اللحن فلما سمعه ابوالاسود رجع من فوره الى زياد وقال ياهذا قد اجبتك الى ماسألت ورايت ان ابدأ باعراب القرآن فابعث الي ثلاثين رجلاً فاحضرهم واختار منهم ابو الاسود عشرة ثم لم يزل حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال له خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف فاذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتها فاجعلها في اسفله فاذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره (انتهى ما اورده صاحب نزهة الالباء في طبقات الادباء)

وقيل ان اول من وضع الشكل نصر بن عاصم الليثي وذهب جماعة الى القول بأن الواضع له يحيى بن يعمر العدواني وكل هؤلاء من علماء العربية في القرن الاول واوائل القرن الثاني

والمشهور عن اكثر المحققين ان ابا الاسود وضع الحركات والتنوين كما اورده صاحب نزهة الالباء وغيره وان الخليل بن احمد جعل الهمز والتشديد

ويظهر من صاحب كشف الظنون ان الاعجام (ويريد به الشكل بقرينة عطفه على النقط) كان بوضع الحروف لقوله

«الا ان الظاهر انهما (النقط والاعجام) موضوعان مع الحروف » ولئن صح قوله هذا في النقط فلا يصح في الشكل لأنه انما وضع لرفع اللبس في الاعراب والعرب قبل الاسلام كانوا في امن من ذلك فلم تكن الحاجة ماسة اليه من زمن الوضع الى زمن ابي الاسود فلاضرورة لوضعه حينئذ وقد كره الشكل قوم من الكتاب وعدوه دليلا على عدم جودة فهم كاتبه كما كرهوا النقط وعروا منه الخط

قيل نظر محمد بن عباد الى ابي عبيد وهو يقيد خطه فقال لو عرفته ماشكلته وقال ابن حميد الكاتب لأن يشكل الحرف على القارىء احب الي من ان يعاب الكاتب بالشكل

وفي قبالة هؤلاء قال جماعة باستحبابه لما فيه من الضبط ونقلوا عن هشام بن عبد الملك اشكلوا قرائن الآداب لئلا تشذوا عن الصواب وعن علي بن منصور حلوا غرائب الكلام بالتقييد وحصنوها عن شبه التصحيف والتحريف وقال بعض الشعراء يمدح كاتبا

وكأن احرف خطه شجر والشكل في اغصانه ثمر

اما تسميته شكلا فمأخوذة كما ذكره بعض الباحثين نقلا عن بعض اهل اللغة من شكل الدابة وهو شدها بالشكال والشكال حبل تشدبه قوائمها لأن الحروف تضبط بقيد فلا يلتبس اعرابها كما تضبط الدابة بالشكل فيمنعها من الهرب قال ابو تمام

ترى الامر معجوما اذا كان معجما   لديه ومشكولا اذا كان مشكلا

وقال صاحب القاموس وشكل الكتاب اعجمه كأشكله كأنه ازال عنه الاشكال فعلى هذا يكون مأخوذا من الاشكال وهو اللبس والهمزة للسلب

وقد اعتمد المتقدمون على المخالفة في اللون بين مداد الكلمات ومداد النقط قال الشيخ ابو عمرو الداني وارى ان استعمل النقط لونين الحمرة والصفرة فتكون الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد وتكون الصفرة للهمزة خاصة قال وعلى ذلك مصاحف اهل المدينة ثم قال وان استعملت الخضرة للابتداء بالفات الوصل على ما احدثه اهل بلدنا فلا ارى بذلك بأساً قال واستخير النقط بالسواد لما فيه من التعيين بصورة الرسم وقد وردت الكراهة بذلك عن عبد الله ابن مسعود وعن غيره من علماء الامة

ومما ذكره ابو عمرو الداني يدفع ما استدل به على ان مصحف الامام جعفر الصادق الموجود بالمكتبة الخديوية كان غير منقوط ثم نقط بعد ذلك بدليل اختلاف الحبر بين الاصل والنقط

كلام في الحركة والسكون

الحركة هي كيفية عارضة للحرف يمكن معها ان يوجد بعده احد حروف المد

والسكون هو كيفية للحرف يمتنع ان يوجد عقبه احد حروف المد . كذا قال المتقدمون وعرف بعضهم الحركة بأنها ما تقوم به صحة لفظ المركبات الكلمات . وهو شامل للسكون كما لا يخفى

وقد جعل الباحثون في الخط الحركات ومثلها حروف المد واللين التي هي الألف والواو والياء مما ينزل من الصوت منزلة الصورة وسموها بالحروف الصوتية يقابلها الحروف التي هي نصف صوتية والحروف غير الصوتية وبحثوا في ذلك بحثا جيدا اضربنا عن التعرض له

ثم أن اللغات اختلفت بالنسبة الى تكييف الحركات في خطها الى طرق فمنها من لم يجعل لها علامات في الخط مطلقا ويروى ذلك عن السامرة ومنهم من جعل لها علامات

وضعت بوضع الحرف بمعنى ان الحرف انما وضعه الواضع للدلالة على الهجاء والحركة وهو الكتابة المقطعية كخط الاحباش اليوم على ما يروى عنهم قالوا ولهذا كثرت حروفها ومنهم من جعل لها علامات توصل في صف الحروف خطاً وهم امم الافرنجة لهذا العهد من لاتين ويونان وسكسكون وغيرهم

ومنهم من جعل لها علامات مستقلة عن الحروف خارجة عن نظم الكلمة ومحلها اما فوق الحرف او تحته وهم ذوو اللغات السامية كالعربية والعبرانية والسريانية

واقتصر العرب في خطهم من الحركات على ثلاث الرفع والنصب والجر وقالوا انها مشاكلة المحركات الطبيعية فالرفع مشاكل لحركة الفلك لارتفاعها والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها والجر مشاكل لحركة الارض والماء لانخفاضها قالوا ومن ثم لم يكن في اللغة العربية اكثر من ثلاثة احرف بعدها ساكن الا ما كان معدولا

وقد اطلقوا كما ورد عن سيبويه امام النحاة على الحركة والسكون في حال الاعراب اسم الرفع والنصب والجر والخفض والجزم وفي حال البناء اسم الضم والفتح والكسر والسكون وانما كان الرفع رفعاً وضما لأنك اذا ضممت الشفتين لأخراج هذه الحركة ارتفعتا فسمي رفعا في الاعراب وضما في البناء وكذلك في حال النصب فإن نصب الضم تابع لفتحه كأن شيئا ساقطا فنصبته اي اقمته بفتحك اياه فدعيت حركة الاعراب نصباً والبناء فتحا كذا ذكره نجم الائمة الرضي في شرح الكافية وقال في الجر

«واما جر الفلك الاسفل الى اسفل وخفضه فهو ككسر الشيء اذ الشيء المكسور يهوي الى اسفل فسميت حركة الاعراب جرا وخفضا وحركة البناء كسرا . . . . ثم الجزم بمعنى القطع والوقف والسكون بمعنى واحد والحرف الجازم كالشيء القاطع للحركة او الحرف فسمي الاعرابي جزما والبنائي وقفا وسكونا . . . . واذا اطلق الضم والفتح والكسر في عبارات البصريين لم تقع الا على حركات غير اعرابية . بنائية كانت كضمة حيث اولا كضمة قاف قفل ومع القرينة تطلق على حركات الاعراب كقول المصنف بالضمة رفعا والكوفيون يطلقون القاب احد النوعين على الآخر مطلقا

وقال جمهور الباحثين ان الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المد واللين اعتمادا على المذهب القائل بأن الحروف وضعت قبل الحركات وذهب بعض النحاة أن حروف المد واللين مأخوذة من الحركات الثلاث فالألف نشأت من اشباع الفتحة والواو من إشباع الضمة والياء من اشباع الكسرة واستدلوا على ذلك بأن العرب قد استغنت في بعض كلامها بهذه

الحركات عن هذه الحروف اكتفاء بالاصل عن الفرع لدلالته عليه كاستغنائهم عن الالف في هؤلاء والرحمن وذهب قوم الى انهما وضعا بوضع واحد وهذا القول لا يتمشى مع القول بأن اول من وضع الشكل هو ابو الاسود الدوءلي ويصلح ان يكون مؤيداً لهذا القول وجود رسم هذه الحركات في الخط السرياني الذي هو اب الخط العربي اذا قام الدليل على وجودها في خط السريانيين قبل ان اخذ الخط العربي منه والا فالمناقشة فيه مجال فسيح

وذهب ابو عمر الداني الى ان العرب لم تكن اصحاب نقط وشكل فكانت تصور الحركات حروفاً لأن الاعراب قد يكون بها كما يكون بهن قال ومما يدل على انهم لم يكونوا اصحاب شكل ونقط وانهم كانوا يفرقون بين المشتبهين في الصورة بزيادة الحروف والحاقهم الواو في عمرو فرقا بينها وبين عمر والحاقهم اياها في اولائك فرقا بينه وبين اليك وفي اولى فرقا بينها وبين الى » ثم قال «وحكى غير واحد من علماء العربية منهم ابو اسحاق ابراهيم بن السري وغيره ان ذلك كان قبل الكتاب العربي ثم ترك استعمال ذلك بعدُ وبقيت منه اشياء لم تغير عما كانت عليه في الرسم قديما وتركت على حالها

قلنا ان العرب اقتصروا في خطهم على الحركات الثلاث ولكنها في كلامهم اكثر من ذلك قال الامام الرازي في مقدمة تفسيره الكبير «الحركات اما صريحة او مختلسة والصريحة اما مفردة اوغير مفردة والمفردة ثلاث الفتحة والكسرة والضمة . وغير المفردة ما كان بين بين وهي ست لكل واحدة قسمان فللفتحة ما بينها وبين الكسرة وما بينها وبين الضمة والكسرة ما بينها وبين الضمة وما بينها وبين الفتحة والضمة على هذا القياس فالمجموع تسع وهي اما مشبعة او غير مشبعة والمجموع ثماني عشرة والتاسعة عشرة المختلسة وهي ما تكون حركة وان لم يتميز في الحس لها مبدأ وتسمى الحركة المجهولة وبها قرأ ابو عمرو (الى بارئكم) مختلسة الحركة من بارئكم وغير ظاهرة بها» ثم قال «لما كان المرجع بالحركة والسكون في هذا الباب الى اصوات مخصوصة لم يجب ان يقطع بانحصار الحركات في العدد المذكور»

وقال ابن جني «اما ما في ايدي الناس في ظاهر الامر فثلاث وهي الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها في الحقيقة ست . وذلك ان بين كل حركتين حركة . فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الالف الممالة نحو فتحة عين عالم وكاتب كما ان الالف

التي بعدها بين الألف والياء . والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل الف التفخيم نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة وكذلك قاد وعاد والتي بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل وسين سير فهذه الكسرة المشمة ضما ومثلها الضمة المشمة كسرا نحو ضمة قاف من المنقر (وهو الركية الكثيرة الماء) وضمة عين ابن اممذعور وباء ابن بور فهذه ضمة اشربت كسرة كما انها في قيل وسير أشربت ضمافهما لذاك كالصوت الواحد ولكن ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة ولا كسرة مشربة فتحة »

ولما اعتمد الكتاب في الرسم على رسم الحركات الثلاث فقط الحقوا بكل واحدة منها ما كان قريبا منها واطلقوا اسم الامالة على الفتحة التي تميل الى الكسر واسم الاشمام على الكسر المال الى الضم والضم المال الى الكسر وجعلوا التفخيم ان تكسى الفتحة ضمة فتخرج بين بين اذا كانت بعدها الف منقلبة عن الواو

وهكذا نوعوا الحركات وان بقيت صورها الخطية محصورة بالثلاث

ثم عمدوا الى السكون فاخرجوا منه الروم وهو الاتيان بحركة خفية آخر الكلمة حال الوقف حرصا على بيان حركتها حال الوصل

علامات الشكل

رأيت في هذا البحث كلاما ممتعا لأحد الفضلاء من علماء القرن الثامن الهجري فاثبته هنا مع اختصار وتصرف قليل قال

ويتعلق المقصود من ذالك في سبع صور

(الاولى علامة السكون) المتقدمون يجعلون علامة ذلك جرة بالحمرة فوق الحرف سواء كان الحرف المسكن همزة كما في قولك ائتنا او غيرها من الحروف كالذال من اذهب

والمتأخرون رسموا لها دائرة تشبه حلقة الميم اشارة الى الجزم اذ الميم آخر حروف الجزم وحذفوا عراقة الميم استخفافا وسموا تلك الدائرة جزمة اخذا من الجزم الذي هو لقب السكون ويحتمل ان يكونوا اتوا بتلك الدائرة على صورة الصفر عند الهنود ونحوهم اشارة الى خلو تلك المرتبة من الحركات لأن الصفر هو الخالي وحذاق الكتاب يجعلونها جيما لطيفة بغير عراقة اشارة الى الجزم

(الثانية علامة الفتح) المتقدمون جعلوا علامة الفتح نقطة حمراء فوق الحرف فإن اتبعت حركة الفتح تنوينا جعلت نقطتين احداهما للحركة والأخرى للتنوين

والمتأخرون جعلوا علامتها الفا مضطجعة لأن الألف علامة للفتح في الأسماء المعتلة

ورسموها بأعلى الحرف موافقة للمتقدمين في ذلك وسموا تلك الألف المضطجعة نصبة اخذا من النصب ويجعلون حالة التنوين خطين مضطجعين من فوق كالنقطتين عند المتقدمين وسموا الخطين نصبتين

(الثالثة علامة الضم) المتقدمون يجعلون علامة الضمة نقطة حمراء وسط الحرف او امامه فإن لحق حركة الضم تنوين رسموا لذلك نقطتين على ما تقدم في الفتح

والمتأخرون جعلوا علامة الضمة واوا صغيرة لأن الواو علامة الرفع في الأسماء المعتلة وسموها رفعة ولذلك رسموها باعلى الحرف ولم يجعلوها في وسطه كي لا تشين الحرف بخلاف المتقدمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة فإن لحق حركة الضم التنوين رسموا لذلك واوا بخطة بعدها فالواو اشارة الى الضم والخطة للتنوين وعبروا عنهما برفعتين وبعضهم يجعل بدل الخطة واوا اخرى مردودة الآخر على رأس الاولى

(الرابعة علامة الكسرة) المتقدمون يجعلون علامة الجرة نقطة حمراء تحت الحرف فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسرة شظية من اسفل الحرف اشارة الى الياء التي هي علامة الجر في الاسماء المعتلة وسموا تلك الشظية خفضة اخذا من الخفض الذي هو لقب الكسر ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محليهما فاذا تبع الكسر تنوين رسموا خطين من اسفل كما سبق في الفتح

(الخامسة علامة التشديد) هي شين مقطوعة من غير عراقة وذهب اهل المدينة الى وضعها بالنسبة الى الحرف المحرك بها موضع حركات الاعراب فترسم مع علامة الكسر وهي النقطة السفلى اسفل الحرف ومع علامة الفتح وهي النقطة العلياء فوق الحرف ومع علامة الضم وهي النقطة التي بين يدي الحرف امام الحرف والذي عليه عامة اهل المشرق كما قال ابو عمر الداني الاندلسي ان توضع الشين المقطوعة من عراقتها وهي اول حرف شديد فوق الحرف دائما

ويعربونه بالحركات فإن كان مفتوحا جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح وان كان مضموما جعلوا مع الشدة نقطة امام الحرف علامة الضم وان كان مكسورا جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة الكسر وعلى هذا المذهب استقر رأي المتأخرين ايضا غير انهم يجعلون بدل النقط الدالة على الاعراب علامات الاعراب التي اصطلحوا عليها من النصبة والرفعة والخفضة فيجعلون النصبة والرفعة بأعلى الشدة

ويجعلون الخفضة باسفل الحرف الذي عليه الشدة وبعضهم يجعلها اسفل الشدة من فوق الحرف

(السادسة علامة الهمز) المتقدمون جعلوها نقطة صفراء لتخالف نقط الاعراب ويرسمونها فوق الحرف دائما ويأتون معها بنقط الاعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحمرة كما تقدم سواء كانت صورة الهمزة الفا اوواوا او ياء اذ حق الهمزة ان تلزم مكانا واحدا من السطر لأنها حرف من حروف المعجم

والمتأخرون يجعلون علامة الهمزة عينا بلا عراقة لقرب مخرج الهمزة من العين ولأنها تمتحن بها ثم ان كانت مصورة بصورة حرف من الحروف فإن كانت ساكنة جعلت اعلى الحرف مع جزمة فوقها وان كانت مفتوحة جعلت اعلى الحرف ايضا مع نصبة فوقها وان كانت مضمومة جعلت كذلك مع رفعة وان كانت مكسورة جعلت اسفل الحرف مع خفضة تحتها وربما جعلت اعلى الحرف والخفضة اسفله

وان كانت الهمزة غير مصورة بحرف من الحروف كالهمزة في جزء وخبء جعلت العلامة في محل الهمزة من الكلمة مع علامة الاعراب فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات تنوين جعل مع الهمزة علامته على ما مر في غير الهمزة

قال الشيخ ابو عمر الداني وتمتحن الهمزة في موضعها من الكلام بالعين فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها وسواء كانت متحركة او ساكنة لحقها التنوين او لم يلحقها تقول في آمنوا عامنوا وفي وآتى المال وعاتى المال وفي مستهزئين مستهزعين وفي متكئون متكعون وفي ماء ماع وفي تنوء تنوع وفي ان تبوء ان تبوع وكذلك فيما اشبه

(السابعة علامة الصلة في الفات الوصل) والمتقدمون رسموا لها جرة بالحمرة في سائر احوالها وجعلوا محلها تابعا للحركة التي قبل الالف فإن وليها فتحة كما في قوله تعالى يتقون الذي جعلت الصلة جرة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ)

وان وليها كسرة كما في قوله رب العالمين جعلت الصلة جرة حمراء تحت الالف (اِ)

وان وليها ضمة كما في قوله نستعين اهدنا جعلت الصلة جرة حمراء في وسطها (ا)

فإن لحق شيئا من الحركات التنوين جعلت الصلة ابدا تحت الألف لأن التنوين مكسور للساكنين مالم يأت بعد الساكن الواقع بعد الف الوصل ضمة لازمة نحو قوله تعالى (وعيون ادخلوها) قال بعضهم يضم التنوين فيجعل الجرة على ذلك في وسط الألف

واما المتأخرون فقد رسموها صادا بلا عراقة وجعلوها باعلى الالف دائما ولم يراعوا في ذلك الحركات اكتفاء باللفظ

(تنبيه) ان الشكل يتغير باعتبار الزيادة والنقصان بين الهجاءين العرفي والرسمي اما الزيادة فمثل اولئك واولوا واولات ونحوها قال الشيخ ابو عمر الداني وسبيلك ان تجعل علامة الهمزة نقطة بالصفرة في وسط الف اولئك واولو واولات وبجعل نقطة بالحمرة امامها في السطر ليدل على الضمة قال وان شئت جعلتها في الواو الزائدة لأنها صورتها وهو قول عامة اهل النقط

والمتأخرون يجعلون علامة الهمزة على الواو وهومخالف لما تقدم من اعتبار الهمزة بالعين

واما النقص فمثل النبيين اذا كتبت بياء واحدة وهؤلاء ويا ادام اذا كتبتا بحذف الف هؤلاء والف يا ادم فيرسم علامة الهمزة وهي النقطة الصفراء وحركتها على رأي المتقدمين وصورة العين على رأي المتأخرين قبل الياء الثانية في النبيين ويجعل ذلك على الألف الثانية في يا آدم لأنها صورتها وعلى الواو في هؤلاء لأنها صورتها

قلنا ان الشكل يتغير بين الهجائين العرفي والرسمي

والمراد بالهجاء العرفي ما اشتهر في عرف الكتاب وجرى اصطلاحهم عليه

واما الهجاء الرسمي فهو ما اصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم في كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم على ما كتبه زيد بن ثابت (رض) ويسمى الاصطلاح السلفي ايضا وسماه في مفتاح السعادة علم خط المصحف وللكتاب اصطلاح آخر غير هذين يسمى الاصطلاح العروضي وهو كما قال صاحب كشف الظنون

«ما اصطلح عليه اهل العروض في تقطيع الشعر واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى اذ المعتد به في صنعة العروض انما هو اللفظ لأنهم يريدون به عدد الحروف التي تقوم بها الوزن متحركا وساكنا فيكتبون التنوين نونا ساكنة ولا يراعون حذفها في الوقف ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ... ويعتمدون في الحروف على اجراء التفصيل كما في قول الشاعر

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فيكتبون على هذه الصورة

ستبدي لكلأيام ماكن تجاهلن ويأتي كبلأخبار منلم تزوودي

ونقل عن ابن درستويه قوله خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط ما اسقط انتهى

احوال الهمزة

تقع في اول الكلام فتكتب الفا باي حركة تحركت مثل أَحمد وأُحدوا إِكرم واختاروا لها ذلك لأن الهمزة تشارك الالف في المخرج وهي اخف من اختيها فاذا سبقتها حروف الزيادة لم تخرجها عن اوليتها فتبقى على صورة الالف مثل مررت بأُحدٍ واكتحلت بالأثمد وانها لبإمام ونحوه الا ما شذ من لئن ولئلا وهؤلاء واشباهها وتقع متوسطة فاما ان تكون ساكنة فيكون ما قبلها متحركا لئلا يجتمع الساكنان فتكتب بحركة ما قبلها الفا ان كان فتحة نحو رأس وكأس وواوا ان كانت ضمة نحو مؤمن وتؤتي . وياء ان كان كسرة نحو بئر وذئب

واما ان تكون متحركة وهي حينئذٍ إما ان يكون ما قبلها ساكنا او متحركا فإن كان ساكنا فاما ان يكون حرف علة او حرفا صحيحا فان كان حرف علة نظير فان كان الفا وكانت الهمزة فتحة فلا تثبت للهمزة صورة نحو نساءنا وجاءنا وساءل وان كانت الهمزة ضمة ثبت لها صورة الواو وان كانت كسرة ثبت لها صورة الياء نحو اولياؤكم وآبائنا وان كان حرف العلة السابق على الهمزة واوا او ياء فان كانا من اصل الكلمة نحو سوءه وهيئة او ملحقين بالأصل مثل جيئل اسم للضبع لا يثبت للهمزة صورة قالوا وفي مثل هذه الحال تحذف الهمزة وتنقل حركتها الى الساكن قبلها

وان كانا زائدتين للمد او الياء للتصغير فكذلك لا صورة للهمزة حينئذ

وان كان الساكن قبلها حرفا صحيحا نحو المرأة والكمأة فتكتب صورتها بحسب حركتها فان كان فتحة جعلت صورتها الالف اوضمة فالواو اوكسرة فالياء هذا هو المعروف اليوم وقال المتقدمون انه اذا كان الساكن الذي قبلها حرفا صحيحا تنقل حركتها الى الساكن قبلها وتحذف والاحسن الاقيس عندهم ان لا تثبت لها صورة في الخط ولا في التحقيق ولا في الحذف والنقل ومنهم من يجعل صورتها الألف على كل حال ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها واستثني عند بعضهم من ذلك ما اذا كان بعدها حرف علة مثل مشئوم فلم يجعل لها في مثل هذه الحال صورة فتكتب بواو واحدة كما في رءوس والموءدة وان كان ما قبلها متحركا فإن كانت حركته وحركتها الفتحة كتبت صورة الهمزة الفا نحو سأل وقرأ وأنبأ الا اذا كان بعدها الفا نحو مآرب جمع مأرب فانها تكتب بالف فوقها مدة وذهب بعضهم الى انها تصور الفا فتكتب ماارب بألفين

وان كان حركة ما قبلها الكسر وحركتها الفتح كتبت ياء نحو ناشئة وخاطئة وان كانت حركته الضم وحركتها الفتح كتبت واوا نحو الفؤاد والسؤال

واذا ضمت الهمزة فإن كان ما قبلها مضموما او مفتوحا كتبت واوا نحو لؤم كصُبُر و لَؤُم كقبح الا اذا كان بعدها في الصورتين واو فإنها تكتب بواو واحدة كما تقدم في مثل رءوس

واذا كان ما قبلها مكسورا كتبت واوا على رأي سيبويه نحو مستهزؤن وياء على مذهب الاخفش مثل ولا ينبئك

واذا كانت الهمزة آخرا فإما ان يكون ما قبلها ساكنا او متحركا فإن كان ساكنا فإما ان يكون صحيحا او معتلا فإن كان صحيحا فلا صورة للهمزة نحو جزء وعبء ودفء وقالوا بحذف الهمزة والقاء حركتها على ما قبلها في حالات الاعراب الثلاث وذهب بعضهم الى ذلك فيما اذا كان ما قبل الساكن مفتوحا واما ان كان مضموما فصورتها الواو او مكسورا فالياء مطلقا وقيل بل تكون صورة الهمزة حينئذ تابعة لحركتها فتكتب جزء ودفء بالواو رفعا والألف نصبا والياء جرا وان كان شيء منها منونا كتب بالألف المبدلة عن التنوين فقط وقيل بل بألفين

وان كان ما قبلها معتلا فان كان مزيدا للمد فلا صورة لها كسماء وسوء ومسيء الا اذا كان منونا وكان حرف العلة الفا فالبصريون كتبوه بألفين والكوفيون وتبعهم بعض المصريين بالف واحدة فإن اتصل ذو الألف بضمير خطاب او غيبة صورت الهمزة واوا في الرفع وياء في الجر والفا واحدة في النصب نحو سماؤك وسمائك وسماءك

وإن كان المعتل غير مزيد فلا صورة للهمزة خطا

وان كان ما قبل الهمزة متحركا فتصور الهمزة بحركة ما قبلها فإن كان فتحة كانت الفا نحو بدأ ومن سبأ والملأ الأعلى وان كانت كسرة كانت الهمزة ياء نحو قرىء وأكل امرىء وشاطىء وإن كانت ضمة رسمت الهمزة واوا نحو امرؤ ولؤلؤ

حالتا الألف

للألف حالتان حالة زيادة وحالة حذف اما الزيادة ففي مواضع

منها انها تزاد خطاً ولا تلفظ بعد الميم في مائة قالوا وانما زيدت في هذا الوضع للفرق بينه وبين (منه) واختصت بها مائة دون منه لانها اسم وهو اقدر على تحمل الزيادة بعكس منه التي هي حرف . و كانت الزيادة الفا لخفتها وشبهها بالهمزة ولو كانت

ياء لاجتمع ياءان وهو مكروه عندهم ولو كانت واوا لاجتمعت الواو والياء كذا قالوا هذا في المفرد واختلفوا في المثنى فقال قوم لا حاجة الى الزيادة لأمن اللبس وقال غيرهم بالزيادة لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه وهو الارجح

واما في الجمع فقد اجمعوا على عدم الزيادة سواء في ذلك السالم والمكسر فكتبوا امئين ومئات

واختار ابو حيان ان تكتب مائة كما تكتب فئة قال وتكتب بالألف دون الياء على وجه تحقيق الهمزة وبالياء دون الألف على وجه تسهيلها

وتزاد الألف بعد واو الجمع المتطرفة في آخر الكلمة اذا اتصلت بفعل ماض او أمر كضربوا واضربوا وتسمى الف الفصل وهي الفارقة بين واو امثال ادعو واغزو للمتكلم التي تجرد من الألف وبين ادعوا واغزوا لأمر الجمع التي تثبت فيها الالف كذا ذهب اكثر النحاة وخالف الفراء في واو المفرد حال الرفع فالحق بها الفاً تشبيهاً لها بواو الجمع وعللوا زيادة الالف بعد واو الجمع بخوف التباسها بواو العطف فيما اذا كانت الواو المتطرفة منقطعة عن الحرف الذي قبلها مثل جاءوا وساروا فاذا كتبت بغير الف واتصلت بكلام بعدها توهم انها واو العطف كما تقول لما سار وتبعهم زيد فتشتبه هنا واو الجمع بواو العطف فإن كانت العطف كان المسير والاتباع من فعل زيد وان كانت للجمع كان المسير فعل الجماعة والاتباع فعل زيد

ثم الحقوا بالواو المنقطعة غيرها طردا للباب على سنن واحد هذا في الماضي والامر وأما المضارع فالمشهور الراجح الحاق الالف بواوه وخالف بعض البصريين فجردوها منه وكذلك اختلف في الواو التي هي في اسم الفاعل واسم المفعول اذا اضيفا الى غير مضمر مثل ضاربو زيد وضاربو هؤلاء فالبصريون على عدم الزيادة وهو المشهور اليوم بين الكتاب والكوفيون على الزيادة وهو المهجور

واما حالة الحذف ففي مواضع منها اذا دخلت لام الجر او لام الابتداء على اسم فيه لام التعريف مثل للناسِ ولَلناسُ فتحذف الالف المصاحبة للام التعريف لئلا يلتبس بلا النافية (لا الناس) وليس كذلك حكمها مع باء الجر مثلا اذ تقول بالناس باثبات الالف ذكر ذلك ابن الحاجب في شافيته

واذا كانت الالف من اصل الكلمة لا تحذف عند ورود اللام عليها مثل إلتباس تكتبها لإلتباس

ومنهـا بعد اللام الثانية من لفظة الجلالة وبعد الميم من الرحمن فيما اذا اتصلت

بها لام التعريف فإذا جردتا منها عاد الالف وعليه كتبوا لاه ابوك ورحمان الدنيا والآخرة

ومنها . بعد اللام في اولئك وبعد الذال من ذلك اذا اتصلت بها كاف الخطاب فإذا عريتا منها عاد الالف

ومنها . بعد الهاء في هذا وهؤلاء اذا لم تتصل بها كاف الخطاب فإذا اتصلت امتنع الحذف

وتحذف بعد لام لكنْ ولكنَّ وتحذف من ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف من حروف الجر مثل عمَّ وفيم ومم ولِمَ وبِمَ وعلام للفرق بينها وبين ما الموصولة واختصت دون الموصولة بالحذف لأن احتياج الموصولة الى الصلة جعل ألفها كالمتوسطة كذا قالوا

وتحذف الالف من ابن اذا وقع صفة بين علمين (والعلم اعم من الاسم والكنية واللقب) مثل نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وولينا علي بن ابي طالب (ع) ورضي الله عن ابي بكر بن ابي قحافة وهذا بطة بن سعيد اوسعيد بن بطة وامثال ذلك

فإذا وقع الابن خبرا بين علمين لم تحذف الالف منه كقولنا زيد ابن عمرو على جهة الاخبار وعللوا الحذف في الصفة بكثرة وروده في الكلام فاختير له الحذف للخفة قالوا ولذلك لا يجري في المثنى بل تثبت فيه الالف فتكتب جاءني الزيدان ابنا عمرو باثباتها

وحذفها المتقدمون في مواضع لم يجر عليها المتأخرون مثل حذفها من ملائكة وعبد السلام وسماوات وثلاث وثلاثين كتبوها ملئكة وعبد السلم وسموات وثلث وثلثين ومثل ذلك حذفها من ابرهيم واسمعيل واسحق وهرون

حالتا الواو

ولها ايضا حالتان حالة زيادة وحالة حذف اما الزيادة ففي عَمرو علما فرقا بينه وبين عُمَر علما ايضا ولذلك لا تثبت الواو في حالة النصب لتميزها بالالف المبدلة من التنوين في قولك رأيت عَمرا لأن عُمَر غير منصرف فلا يدخله التنوين

وتزاد في اولئك فرقا بينها وبين اليك ففي اولئك زيادة واو وحذف الف

وتزاد في اولي لتخالف الى وحمل اولو على اولي كما فعل بمثنى مائة وكذلك الحال في اولات

واما حالة الحذف ففي مثل داود وطاوس اذا كانت الكلمة ذات واوين متجاورين وهذا اذا امن اللبس فإذا لم يؤمن كما في قوله تعالى لووا رءوسهم كتب الواوان واذا كانت الكلمة ذات ثلاثة واوات أثبت الكتاب منها اثنان كما في قوله ليسوءوا

احوال الياء

تقع بدلا عن الالف المقصورة قال ابن الحاجب في الشافية «كتبوا كل الف رابعة فصاعدا في اسم او فعل ياء الا فيما قبلها ياء» مثل الدنيا والعليا واستثنى من ذلك يحيى وريى علمين* فإن كانا غير علمين كتبا بالالف فرقاً بينهما علمين وبينهما فعلا وصفة ثم قال «واما الثالثة فإن كانت عن ياء كتبت ياء والا فبالالف ومنهم من يكتب الباب كله بالالف وعلى كتبه بالياء فإن كان منونا فالمختار انه كذلك وهو قياس المبرد وقياس المازني بالالف . وقياس سيبويه . المنصوب يكتب بالالف وما سواه بياء . وتعرف الياء من الواو بالتثنية نحو فتيان وعصوان وبالجمع نحو الفتيات والقنوات وبالمرة نحو رمية وغزوة وبرد الفعل الى نفسك نحو رميت وغزوت وبكون فاء الفعل واوا نحو وعى وبكون العين واوا نحو شوى فان جهل فان املت فالياء والا فالألف وانما كتبوا لدى بالياء لقولهم لديك وكلا تكتب بالوجهين واما الحروف فلا يكتب بالياء غير بلى وعلى والى وحتى واذا اتصلت هذه الحروف بما الاستفهامية كتبت بالالف لأن الالف اصبحت في الوسط

وحكى صاحب كتاب نزهة الالباء في طبقات الادباء في ترجمة المبرد ان بعض أبناء طاهر سأل ابا العباس ثعلبا ان يكتب له مصحفا على مذهب اهل التحقيق فكتب والضحى بالياء ومن مذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هذا النحو اولها ضمة او كسرة كتبت بالياء وان كانت من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالالف فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال ينبغي ان يكتب والضحى بالالف لانه من ذوات الواو فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لثعلب لم كتبت والضحى بالياء فقال لضم اوله فقال ولم إذا ضم اوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء فقال لأن الضمة تشبه الواو وما اوله واو يكون آخره ياء فتوهموا ان اوله واو فقال ابو العباس المبرد افلا يزول هذا الوهم الى يوم القيامة

اللام

ومن الحروف التي يعرض لها الحذف خطاً اللام فانها تحذف من الذي والتي والذين فتكتب هذه الكلمات بلام واحدة ولا تحذف من اللذان واللذين في المثنى ليتميز اللذين مثنى من الذين جمعا

وانما حذفت من الذي واخواتها لأن الالف واللام فيها لازمة فصارت معها كالكلمة

الواحدة والحرفان المدغمان في الكلمة الواحدة لا يكتبان الا حرفا واحدا فعوملت هذه كذلك

قالوا وتحذف من الليل فتكتب اليل واستجاده بعضهم ولكن ابا حيان جعل القياس ان يكتب بلامين وهو الذي عليه جمهور المتأخرين وتحذف من هل اذا دخلت على لا فتقول هلاّ

النون

ومن حروف الحذف النون فإنها تحذف من من الجارة إذا اتصلت بما الموصولية والاستفهامية والزائدة نحو عجبت مما عجبت ومم هذا الثوب ومما خطيآتهم اغرقوا واما الشرطية فقد قالوا أن القياس يقتضي اثبات النون وفصلها عن ما نحو من ما تأخذ اخذ

وتحذف منها اذا اتصلت بمن مطلقا سواء كانت استفهامية نحو ممن اخذت الدراهم او موصولة نحو علمت ذلك ممن علمك او شرطية ممن تأخذ اخذ

وتحذف النون من عن اذا اتصلت بما الاستفهامية والزائدة وتثبت النون فيها اذا اتصلت بما الموصولة قاله ابن قتيبة وتحذف منها اذا اتصلت بمن الموصولة نحو اخذت العلم عمن اخذته وقال بعض الكتاب بجواز اثباتها في مثل هذا الموضع واما في غير من الموصولة فقد اختلفوا والمشهور الاثبات والفصل وقال ابن قتيبة بالحذف والوصل في جميع احوال من تحذف نون عن اذا دخلت عليها وتوصل العين بها (عمن)

وتحذف النون من ان الشرطية اذا اتصلت بلا او ما نحو الا تفعلوه واما تخافن وحذفت من حرفي التأكيد أن وإن واختهما لكن مع جواز اثباتها وذلك اذا اتصلت بلفظ (نا) فقالوا انّا وانّا ولكنا وقالوا اننا واننا ولكننا وقد حذفوها في غير هذه المواضع ولكن المتاخرين لم يجروا مجراهم فاضربنا عن ذكرها

الوصل بين كلمتين

اصطلح الكتاب على وصل بعض الكلمات ببعضها (وان كان الأصل يقتضي فصلها لتميز كل كلمة عن الاخرى لفظا ومعنى) لإعتبارهم ان الكلمتين كالكلمة الواحدة اما فيما تكون احدى الكلمتين حرفا واحدا كحروف الجر والضمائر المتصلة فذلك ظاهر واما فيما زاد الى الحرفين فاكثر فهو المحتاج الى بيان

وصل الكتاب الكلمتين اذا كانتا مركبتين تركيب مزج مثل بعلبك وفي غير تركيب المزج لا يكون الوصل

ووصلوا من وعن مع حذف نونها في ما ومن وقد تقدم بيان ذلك

ووصلوا في حال اتصالها بمن وما الاستفهاميتين وما الموصولية على اختيار في ذلك

ووصلوا في الجارة بما واختلفوا في فصلها اذا دخلت على من والارجح الفصل

ووصلوا الحروف المشبهة بالفعل الناصبة للإسم الرافعة للخبر (وهي ان واخواتها)

— بما الكافة الزائدة وفصلوها في ماعدا ذلك فكتبوا انما انت قائم وان ماتقوله لحق

ووصلوا قلّ واين وحيث وبين واي ونعم وبئس بما الزائدة نحو قلما تراني واينما تكن آتيك وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وبئسما اشتريت وبينما انا جالس وايما الاجلين قضيت ونعما يعظكم ووصلوا كلمة كل بما المصدرية فقط نحو كلما اتيتني اكرمتك

ووصلوا هل بلا وتحذف احدى اللامين كما تقدم بيانه ووصلوا كي بلا فقالوا كيلا والمرجح الفصل

ووصلوا الظروف مثل يوم وحين باذ فقالوا حينئذ ويومئذ وألحق بعض الكتاب بهما آن فقالوا آنئذ وساعة فقالوا ساعتئذ ووقت فقالوا وقتئذ قياسا عليهما

كلام في اقلام الخط عند المتقدمين

اول ما انتشر الخط بين العرب اختلفت منازع الكتاب فاتخذ بعضهم قاعدة التقوير وكانوا يطلقون في العصور الوسطى على الخط المقور اسم الخط اللين وعرفوه بانه ما تكون عراقاته منخسفة ومنحطة الى اسفل واتخذ بعضهم قاعدة البسط واطلق عليه في العصور المتوسطة اسم اليابس وقالوا بانه مالا انخساف فيه ولا انحطاط وكان من هاتين تفرع اقلام الخط العربي واختلاف هندسة حروفه وابتداء التفنن بالاقلام واشكال الحروف في زمن الدولة الاموية واشتهر في زمن العباسيين وكان ذلك في بدء الامر بالخط الكوفي ثم جرى منه الى النسخي

قالوا واول الاقلام المعروفة في زمن الامويين هو القلم المعروف بالطومار ونقلوا عن بعض المورخين ان عمر بن عبدالعزيز اتي زمن خلافته بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين والطومار كما نص عليه علماء اللغة هو الصحيفة كالطامور وفي قول عمر بن عبد العزيز ان فيه ضياع الورق دليل على انه كان يكتب في الطومار بقلم الطومار اذ لا يحصل ضياع الورق الا بتكبير حجم الحروف وهذا حاصل في قلم الطومار كما ستعرفه عن قريب وهذا الدليل ليس بقطعي الدلالة ولكنه يقرب من المقصود وتنبسط اليه نفس المستدل ويؤيده ما أشار اليه متقدمو

الكتاب من ان الخلفاء كانت تكتب علاماتهم به في ايام بني امية

وكان هذا القلم يسمى بالقلم الجليل ايضا نص عليه صاحب كتاب الخط ثم قال راوياً عن النحاس ثم اخترع الكاتب المشهور ابراهم الشجري (تلميذ اسحاق بن حماد وهو الذي قلنا فيما سبق انه كتب الخط النسخي قبل ابن مقلة بعدة تناهز القرنين) قلم الثلثين جعله اخف من الجليل ثم اختصره بقلم الثلث

ثم اختصر يوسف الشجري اخو ابراهيم هذا القلم الجليل بقلم ادق منه فاعجب ذلك ذا الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون وامر ان تحرر به الكتب السلطانية فسمي القلم الرياسي وسموه ايضا قلم التوقيعات ونسب الى ذي الرياستين ثم انبعضهم استخرج من القلم الجليل قلما سماه قلم النصف ثم قلم مختصر الطومار ثم قلما اخف من الثلث سماه خفيف الثلث وقلما اسمه المسلسل تتصل حروفه كلها بعضها ببعض وقلما آخر سموه غبار الحلية وهكذا كلما ظهر كاتب بخط جميل ومذهب فيه جديد اطلق عليه اسما وجعله قلما حتى تعددت اسماء الاقلام وكادت تشوش ذهن الطالب

وقال صاحب كشف الظنون «ثم كان اسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدي وله عدة تلاميذ كتبوا الخطوط الاصلية الموزونة وهي اثنا عشر قلما قلم الجليل قلم السجلات قلم الديباج قلم اسطورمار الكبير (ولعله الطومار) قلم الثلاثين (ولعله الثلثين) قلم الزنبور قلم المفتح قلم الحرم قلم المدامرات (كذا) قلم العهود قلم القصص قلم الحرفاج(؟) فحين ظهر الهاشميون حدث خط يسمى العراقي وهو المحقق ولم يزل يزيد حتى انتهى الامر الى المأمون فأخذ كتابه بتجويد خطوطهم وظهر رجل يعرف بالاحول فتكلم على رسومه وقوانينه وجعله انواعا ثم ظهر قلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرياسي اختراع ذي الرياستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلية»

فهذه سبعة عشر قلماً عدها صاحب كشف الظنون ثم قال بعد ذلك

«ثم اشتهرت الاقلام الستة بين المتأخرين وهي الثلث والنسخ والتعليق والريحان والمحقق والرقاع»

والظاهر ان تسمية الاقلام بالثلثين والثلث والنصف والمختصرات تكون بنسبة الخط الى القلم الجليل الذي قلنا ان صاحب كتاب الخط جعله القلم المسمى بقلم الطومار وقد قالوا بأن هذا القلم قد قدر الكتاب مساحته بأربع وعشرين شعرة برذون وجعلوا قلم الثلثين ما كانت مساحته ستة عشر شعرة وقلم الثلث ثماني شعرات برذون ومختصر الطومار ما كان بين الطومار الكامل وقلم الثلثين فتكون مساحته اقل من اربع

وعشرين شعرة واكثر من ست عشرة

وفي هذه الاقلام مذهبان للكتاب مذهب يميل إلى البسط واتباع طريقة المحقق (او العراقي) ومذهب يميل الى التقوير

واما القلم الرياسي وهو المعروف بقلم التوقيعات فانما سمي بذلك لما قلنا من ان الخلفاء والملوك اختصوا به لتوقيعاتهم منذ زمن الفضل بن سهل

وهو غير قلم الرقاع وسمي هذا القلم بالرقاع لأنه مختص بالرقاع الصغيرة التي تودع لطائف المكاتبات والقصص وما اشبه وحروفه ادق من قلم التوقيعات

ومن الاقلام قلم الغبار قال صاحب الخط وانما سمي بذلك لدقته كأن النظر يضعف عن روءية الشيء عند ثوران الغبار وهو الذي يكتب به في القطع الصغير من ورق الطير وغيره ويكتب به بطائق الحمام التي تحمل على اجنحتها في ورق الطير وبعضهم يسميه قلم الجناح لذلك وهو قلم ضئيل مولد من الرقاع والنسخ

هذا ما اخترنا ذكره في علم الخط اوردناه وما اتينا على آخره حتى كان العالم باجمعه مضطربا من اهوال الحرب القائمة الآن بين اعظم دول اوروبا وقد شمل الضنك والضيق كل الاقطار واستولى الهم والكرب على كل النفوس فكان للاقلام لجاما والله المسوءول ان يمن بالفرج العاجل القريب ولله عاقبة الامور



